

## ملك السويد: وددت أن أكون طباحا!!

من تقاليد احتفالات نوبل فى السويد أن يقوم الملك والملكة كل عام باستقبال كل من الفائزين بالجائزة. وفى عام ١٩٨٨م كان الفائز لأول مرة فى تاريخ الجائزة التى بدأت عام ١٩٠١م، كاتب عربى هو أديبنا الأكبر نجيب محفوظ. ولأن الأستاذ نجيب لا يحب السفر فقد اختارنى ممثلا شخصيا له فى احتفالات نوبل بستوكهولم وقد أفنعتة - بمساعدة زوجته السيدة عطية الله - بإيفاد كريمتيه أم كلثوم وفاطمة معى على أساس أن زوجتى ستصاحبنى وستقوم برعايتهما.

وهكذا وجد الملك كارل جوستاف الثانى وزوجته الملكة سيلفيا هذه المرة أنهما لن يستقبلا شخصا واحدا هو الفائز بالجائزة أو شخصين على الأكثر إذا كانت زوجة الفائز تصاحبه فى الرحلة، إنما ستة أشخاص دفعة واحدة هم الممثل الشخصى للفائز وزوجته وابنتى الفائز والسفير المصرى وزوجته المرافقين للمجموعة فى كل تحركاتهم واللذين أعدا (للوفد) المصرى برنامجا حافلا لهذه الزيارة.

وحين أقول (الوفد) المصرى فذلك لأن الآتين من مصر لحضور هذه الاحتفالات لم يقتصر عددهم على الأربعة السالف ذكرهم، فقد صاحبا من مصر وفد إعلامى كبير ضم حوالى ٣٠ إعلاميا كان من بينهم المرحوم محمود المراهى رئيس تحرير (الأهالى) فى ذلك الوقت وحسن شاه رئيس تحرير (الكواكب) والكاتبان الصحفيان مفيد فوزى وعبد الستار الطويلة والإذاعيتان أمينة صبرى ونبييلة مكاوى وغيرهم، وعلى حد قول الموسيقار المصرى المقيم فى السويد عبد الرحمن الخطيب (شقيق كل من سليمان جميل وفايدة وأميرة كامل) فقد بدونا مثل أهالى القرية الذين فرحوا بتخريج أحد أبنائهم.

فجاءوا جميعا إلى القاهرة يطلعون على النتيجة بأنفسهم ويحتفلون بها، وقد حدث أن أقام السفير عبد الرحمن مرعى سفير مصر فى ستوكهولم حفل عشاء على شرفنا فاضطر لاستئجار (أتوبيس) كامل ليقلنا إلى منزله الواقع فى أطراف المدينة، بينما كان كل من جاء من الدول الأخرى هو شخص واحد أو شخصان هو الفائز بالجائزة وربما زوجته.

على أن ذلك كله أضحى جوا من البهجة - وبعض الجلبة - على تواجدنا وتحركاتنا في العاصمة السويدية التي غطتها الثلوج البيضاء طوال فترة وجودنا فيها في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر ١٩٨٨م ولولا دفء الصحبة لما شعرنا بفرحة المناسبة.

ولم تفت تلك الملاحظة على الملك كارل جوستاف في لحظة تسليمه جائزة الأدب حيث وجد الملك أمامه ليس شخصا واحدا إنما اثنان هما ابنتا أديبنا الأكبر، فتأرجح بيده مجيئا وذهابا بين الاثنتين وكأنه يقول: من منكما ستتسلم الجائزة؟ وتعالى ضحكات الجمع الغفير الذى ملاً قاعة مجلس المدينة إلى أن سلم الملك أم كلثوم الجائزة وسلم فاطمة الشهادة المصاحبة لها.

وحين حل بعد ذلك موعد استقبال الملك للفائز بجائزة الأدب وجد كارل جوستاف نفسه في الموقف نفسه حيث دخل عليه ستة أشخاص وليس شخصا واحدا: كانت أم كلثوم الابنة الكبرى للأستاذ نجيب والتي درج على مناداتها فى المنزل باسم هدى ترتدى ثوبا شعبيا من ملابس بدو سيناء المطرز يدويا بالألوان الزرقاء والوردية، بينما ارتدت فاطمة أو فاتن ثوبا صعيديا بالطرز الذهبى، أما أنا والسفير المصرى فقد ارتدينا سترة السهرة الرسمية (الفراك) وفق التقاليد الملكية فى السويد فلا يجوز لأحد أن يقابل الملك بغيرها، مثلما كان الحال عندنا وقت الحكم الخديو حين لم يكن مسموحا بمقابلة الخديو إلا ببدلة خاصة مطرزة بالقصب الذهبى ومن خصرها يتدلى السيف، وكانت تعرف ببدلة التشريفة، ولقد كانت لدى إحداها كانت مملوكة لجدى، لكنها للأسف لم تكن لتسعفنى فى مقابلة ملك السويد. لذا كان سيحتتم على أن أقوم بتفصيل (فراك) خاص لهذه المناسبة لأرتديه مرة واحدة فقط.

لكن قبل أن أشرع فى ذلك جاءتنى النجدة من السيد إسماعيل فهمى وزير الخارجية وجدت لديه (فراكا) كان يرتديه فى مثل هذه المناسبات، لكنه مركون فى دولابه منذ أكثر من عشر سنوات حين استقال إسماعيل فهمى من السلك الدبلوماسى، وقد وافق على أن أجرى بعض التعديلات على البدلة حتى تصبح على مقياسى.

كان الملك هو أول المتحدثين فى هذا اللقاء، فالبروتكول الملكى يقضى أيضا بالأبداً أحد بالحديث إلا بعد أن يتكلم الملك، وكان أول ما قاله ملك السويد هو: يا له من وفد كبير، إننى لم أستقبل قبل ذلك أى فائز فى هيئة ستة أشخاص! ولم يكن الملك متفاجئا

بالطبع ، فقد كان على علم مسبق بعدد الذين سيحضرون اللقاء وبشخصياتهم ، لكن كارل جوستاف معروف بحبه لروح الدعابة ، وقد بدا ذلك واضحا حين داعب أم كلثوم وفاطمة بالجائزة أمام الجمهور الذى بلغ عدده أكثر من ألف شخص بالإضافة للملايين الذين شاهدوا الدعابة على مختلف تليفزيونات العالم.

ورحبت الملكة سيلفيا ، وهى ألمانية الأصل أحبها الملك حين قابلها على إحدى الطائرات التى كانت تعمل بها مضيئة جوية ، بالحضور وخاصة بابنتى الأديب المصرى الكبير وأخذت تسألها إن كانتا فى حاجة لأى شىء وإن كانتا تشعران بالبرد فى السويد ، ثم أخذت تسألها عن فستانيهما وقد أبدت إعجابها بكل واحد منهما على حدة.

فى هذه الأثناء كان الملك كارل جوستاف الثانى قد اتجه بالحديث إلى أنا والسفير المصرى الذى لم يكن يقابله للمرة الأولى بالطبع ، فقد تعددت مقابلهما منذ بداية تعيينه فى ستوكهولم ، وكانت المقابلة الأخيرة - كما فهمت من حديثهما - عند زيارة الملك لمصر فى العام السابق ، وانتظرت أن يبادرنى الملك بالحديث فقال لى : يقولون لى إنك كاتب ، قلت نعم ، جلالتك ، فأنا أكتب المسرح والقصة والرواية بالإضافة لكتاباتى الصحفية ، فقال الملك : إننى أكن احتراما كبيرا جدا للكاتب ، وأعتقد أن الكتابة أهم مهنة فى العالم ، فالكاتب يخاطب وجدان الناس وعقولها فى الوقت نفسه ، والإنسان العصرى يبدو كأنه قد نسى أن له روحا ووجدانا والكاتب هو من يذكره دائما بآدميته .

قلت للملك : إن ذلك يشير أيضا إلى آدمية من يعنى ذلك . فقد قال الكاتب والشاعر الأمريكى الكبير رالف والدو إمرسون : إن القارئ الجيد هو الذى يصنع الكتاب الجيد ثم بدأنا نتحدث عن مختلف الكتاب فى العالم وعن الكتاب المفضلين لكل منا ، إلى أن قال الملك : إن لديكم كتبا كثيرين فى مصر ، فقلت : إن عدد الكتاب والمثقفين فى مصر يزيد على تعداد بعض الدول المجاورة لنا بما فى ذلك إسرائيل ، ثم سألته : هل تعرف جلالتك أحد منهم؟ قال : أعرف طبعا محفوظ العظيم The Great Mahfouz ، وقد قرأت عددا من رواياته بالسويدية وبالإنجليزية . ولا أدرى لماذا لم يفز بجائزة نوبل قبل ذلك ، قلت : Better Late than never ، قاصدا أنه خير أن يفوز بها متأخرا من ألا يفوز بها على الإطلاق ، فقال الملك : لو كانت لى علاقة بالجائزة لطلبت أن يفوز بها كتاب كثيرون يستحقونها ، لكن كما تعلم فإن نوبل جائزة مستقلة تماما عن أية جهة ، قلت : إن البعض

يتصور أنها يمكن أن تخضع لبعض التأثيرات، قال: نعم خاصة عندكم في العالم العربي، ثم روى لي الملك أنه أثناء زيارته لمصر قابل كاتباً كبيراً - توصلنا معا إلى اسمه - أهداه جميع كتبه وطلب منه أن يوصي لجنة نوبل عليه (!!)، وقال الملك: لقد استمعت بقراءة أعمال هذا الكاتب وخاصة الأشعار، لكنني لم أجرؤ أن أفاتح لجنة نوبل في ذلك، قلت: ألم تشرح للكاتب ذلك؟ قال: بالطبع، لكن لم يبدو أنه اقتنع، ثم قال الملك: لكن دعك من ذلك، إنني ما زلت عند رأيي بأن الكاتب شيء كبير جدا في المجتمع، ودعني أقل لك بكل صراحة إنني لو كنت كاتباً لتكرت العرش وكرست وقتي كله للكتابة.



ملك ومملكة السويد ومحمد سلماوى وحرمة وكريمتى محفوظ والسفير المصرى وحرمة

وقد يتصور البعض أن مثل هذا الحديث هو من قبيل المجاملة من ملك إلى ضيف يعمل بالكتابة، لكن الحقيقة أن من يعرف الملك كارل جوستاف يمكن أن يصدق أن بإمكانه

بالفعل أن يتنازل عن العرش إذا أراد، فهو على سبيل المثال لا يحب الإقامة في القصر الملكي ويقيم بصفة دائمة في (فيلا) متواضعة على الجانب الآخر من الشارع، وهو لا يحضر إلى القصر إلا إذا كان هناك ما يستوجب وجوده فيه، كما أنه يفضل أن يمضى وقته مع أسرته وأولاده أكثر مما يمضيه في المهام الرسمية المتعلقة بموقعه الملكي.

وبدت على ملك السويد بعض علامات الأسى فقلت له: حتى إن لم تكن تكتب فلا بد أن لجلالتك هواية أخرى تمضى وقتك فيها، فقال على الفور وقد برقت عيناه وراء نظارته الطبيعية الأنيقة: نعم، فأنا أهوى الطبخ، وأتصور أنني كان من الممكن أن أكون سعيداً لو كنت أعمل طباً، لكنى قلت إن المسألة لا تساوى أن أترك عرش البلاد وأتحول إلى طبّاح ففكرت أن أظل ملكاً.

وكتمت ضحكي حرصاً على مشاعر الملك الذى بدا لى جادا فيما يقول، لكن ما أن ابتسم هو حتى انفجرنا معا فى ضحك لفت انتباه الملكة التى كانت تتحدث مع ابنتى محفوظ وزوجتى وحرَم السفير.

وواصلت حديثى مع الملك فسألته: ماذا كان آخر ما طبخت؟ وهنا ابتسمت الملكة سيلفيا وهى تسمع السؤال وبعد أن أجاب علىّ الملك قالت: لو كنت سألت هذا السؤال لملك آخر لتصور أنك تتحدث فى السياسة، فقال الملك: هذا صحيح، لكن صدقنى إن طبخ الأكل أطمع بكثير من طبخ السياسة!!



باولو كويلو:

مدين بنجاحى لمصر!

حين دعوت الكاتب البرازيلى العالمى باولو كويلو إلى اتحاد الكتاب قال لى: يسعدنى جدًا أن ألتقى بأدباء مصر وضيوفهم لكنى أرجو ألا يسألونى أسئلة صعبة من نوعية: هل الإنسان فى رواياتك مخير أم مسير؟ أو ما هى الفلسفة التى تعتنقها؟ ذلك أننى إنسان بسيط أومن بالخير، وأفضل أن أحيى التجربة بدلا من أن أتحدث عنها أو أكتب فيها النظريات التحليلية، وأنا مثل أى تلميذ فى المدرسة لا أستطيع أن أجيب إلا فقط على ما أعرف إجابته.

جلس باولو كويلو فى مكتبى حوالى ربع ساعة ظل يرشف خلالها القهوة من فنجان بهدوء وبطء وعلامات التوتر باقية على قسماى وجهه، وعلى حركات اليدين العصبيتين وكأنه يخشى من دخول الامتحان، بينما كانت قاعة المسرح فى الدور العلوى لمبنى اتحاد الكتاب بالزمالك تكتظ بالجمهور الذى جاء من كل مكان ليستمع إلى هذا الكاتب العالمى الذى يعتبر أكثر ثانى الكتاب مبيعا فى العالم.

ودخل علينا الشاعر أحمد سويلم سكرتير عام الاتحاد يقول إن قاعة المسرح لم تعد تتسع للجمهور وأن الممرات الواقعة بين الكراسى قد امتلأت عن آخرها بالناس الواقفة بينما جلس آخرون على الأرض، وقد كان بذلك يحاول طمأنة ضيفنا العالمى إلى أن الجمهور الذى ينتظره كبير للغاية، لكنى لاحظت أن ذلك زاد من توتر كويلو الذى بدلا من أن ينتقل إلى المسرح طلب فنجانًا آخر من القهوة.

كان باولو كويلو قد انتهى من أحدث رواياته التى كانت تحمل عنوان (الظاهر) والتى اتخذت اسمها - حسبما روى لى - من الكلمة العربية التى تفيد فى الفلسفة الصوفية معنى التجلى، وكانت الرواية مثل سابقتها قد بدأت تحقق أرباحًا هائلة فى مختلف اللغات التى ترجمت إليها، وهو ما كان يكفى لبعث الثقة - بل والغرور أيضًا - فى نفس أى كاتب آخر.

وتذكرت أبا المسرح العربي توفيق الحكيم الذى كثيراً ما سألتنى عن عرض أو آخر لإحدى مسرحياته والتي لم يكن يحضرها على الإطلاق حيث كان يخشى مواجهة الجمهور (!!) رغم شغفه الشديد بمعرفة تفاصيل العرض وردود أفعال الجمهور. وتذكرت أيضاً أم كلثوم التى كانت حتى آخر أيامها تحرص على رؤية جمهور حفلاتها من خلف الستار فى خوف وتوجس، بينما كانت تبدو شامخة بمجرد أن ينفرج الستار وتواجه الجمهور وجهاً لوجه.

وذلك بالضبط هو ما حدث مع باولو كويلو، فما أن دخل معى إلى قاعة المسرح الذى ظل يرتج دقات متواصلة بتصفيق الجمهور حتى بدا وحشاً كاسراً لا يخشى مواجهة أحد ولا يتراجع أمام أى سؤال، وكنت أنوى أثناء الترجمة أن أخفف من وقع بعض الأسئلة التى حذرنى مسبقاً من أنه يخشاه، لكنى إزاء جسارته المفاجئة التزمت بالأمانة الكاملة فى ترجمة جميع أنواع الأسئلة التى تدافعت من جمهور كان يتوق للقاء هذا الكاتب الأسطورة الذى لم يترجم إلى العربية إلا القليل من رواياته والتي كان أشهرها رواية (السميائي) The Alchemist والتي ترجمها الروائى الكبير بهاء طاهر باسم (ساحر الصحراء).

وبعد أن انتهى اللقاء الذى تخطى الموعد المقرر له بساعة كاملة دعوت كويلو على العشاء وجلسنا نتحدث فى مختلف الموضوعات، فقلت له: لقد خدعتنى بخشيتك المزعومة من بعض الأسئلة، فقال: بل صدقنى أنا لا أعرف الإجابة عن الأسئلة العويصة التى لا أفهمها، قلت: لكنك هذه المرة عرفت إجابة كل الأسئلة، فقال: لقد تعلمت فى المدرسة أن ألتف حول السؤال الذى لا أعرف إجابته بدلا من أن أترك ورقة الإجابة فارغة، هذا كل ما فى الأمر.

كان مشهد النيل فى الليل أماننا خلافاً مما أيقظ أحاسيس الكاتب البرازيلى الكبير فتحدث عن مصر معبراً عن ولعه بها، قائلاً إنها تمثل بالنسبة له بالفعل (أم الدنيا) كما يطلق عليها أبناؤها.

وروى لى باولو كويلو أنه مدين لمصر بنجاحه الأدبى لأنه أثناء زيارته الأولى لمصر منذ أكثر من عشر سنوات جاءتته فكرة رواية (السميائي) التى صنعت شهرته فى العالم أجمع، وقال: كنت أزور الأهرامات التى خلبتنى وكدت آخر أمامها ساجداً، وأحسست أننى فى بحثى الدائم عن نفسى قد وجدت ما أبحث عنه فى هذه الصحراء عند أقدام أهرامات مصر، وتلك

هي قصة رواية (السميائي) التي ظل بطلها يبحث عن الكنز سنوات طويلة، وأخذته البحث في رحلة من المغرب إلى صحراء مصر حيث وجد الكنز أخيراً عند أقدام الأهرامات. قلت: إن قصة البحث هذه متكررة في معظم أعمالك الروائية. قال: أليس الأدب وسيلتنا في البحث عن أنفسنا؟ لقد عملت في مختلف الوظائف وجربت كل الطرق، بل في بعض الأحيان لم أكن أعمل على الإطلاق وأدمنت المخدرات وأودعت مستشفى للمجاذيب، لكنني لم أجد نفسي إلا في الأدب حيث اتجهت إليه في سنوات متأخرة من حياتي.



باولو كويلو في ضيافة محمد سلماوي باتحاد الكتاب

ثم قال: إن السبب في أنني لا أحب الأسئلة التي تسأل عن الاتجاه السياسي في رواياتي، وهل هو ماركسي النزعة أو رأسمالي، وما إلى ذلك من الأسئلة العبيطة، هو أن أعمالى ملتزمة بتوجه سياسى جديد للإنسان وهو البحث عن هويته فى هذا العالم الفوضوى الكبير الذى سقطت فيه كل الأيديولوجيات، لذلك فإن الروايات التى أكتبها لا تقع داخل

التصنيفات التقليدية العتيقة لليمين واليسار، وإنما هي تعبر عن تطلع الإنسان المعاصر إلى معرفة نفسه وتحقيق ذاته، لذلك فهي تستعصى على الكثير من النقاد الذين ينتهي بهم الأمر إلى رفضها في الوقت الذى يتزايد قراؤها مع كل يوم جديد.

قلت: ولماذا أردت لبطل (السميائي) أن يكون كنزه فى مصر؟

قال: لأن مصر هي أول من وجدت كنزها بين جميع شعوب الأرض، فهي أول من حددت هويتها فأعطت لأبنائها شخصيتهم التي لم تستطع أى قوة غازية أن تمحوها على مدى القرون الماضية.

قلت: بل لقد ذابت فيها الكثير من الهويات الأخرى التي غزتها وتمصّر كل من دخلها، ولننظر ما حدث للإسكندر الأكبر الذى ارتدى لباس الفراعنة واعتبر نفسه ابن إله المصريين آمون وترك في وصيته ألا يدفن إلا فى أرض مصر، أو ما حدث لنابليون الذى عاد إلى فرنسا، وقد غزت مصر نفسه ونفس كل من جاء معه من علماء أو جنود فعادوا إلى فرنسا ينشرون ما أصبح يعرف باسم (الولع بمصر) *Egyptomanie* الذى ما زال قائماً فى فرنسا حتى الآن.

قال: لذلك فقد كان أهل مصر على حق حين قالوا إنها أم الدنيا.

ثم قال: إن مصر تفعل فى فعل السميائي الذى يحول المعادن إلى ذهب، فأنا فى كل مرة أزور فيها مصر تتحول الأفكار فى ذهنى بسرعة غريبة إلى مشروع لرواية جديدة، وليست زيارتى الحالية استثناء.



## ماريو سوارش: أستطيع أن أعيش حياتي على الجبن!

جمعتنى بالرئيس البرتغالى السابق ماريو سوارش وبزوجته الفنانة ماريا باروزو علاقة صداقة وطيدة جعلتهما يدعوانى إلى البرتغال عام ١٩٩٢م، حيث أقاما لى أنا وزوجتى مأدبة غداء بقصر (بليم) الرئاسى فى العاصمة لشبونة، كما قبل الرئيس سوارش دعوتى بعد ذلك بسنتين لافتتاح جريدة (الأهرام إبدو) فى القاهرة، وذلك أثناء زيارته الرسمية لمصر عام ١٩٩٤م.

يعتبر ماريو سوارش أهم رئيس جمهورية عرفته البرتغال بعد زوال الحكم العسكرى الذى حل بالبلاد منذ عام ١٩٢٦م وحتى تأسيس الديمقراطية عام ١٩٧٤م، فقد جسد إجماعا شعبيا كبيرا خلال فترات رئاسته التى كان يحصل فيها كل مرة على نسبة أصوات تكاد تقترب من استفتاءات الدول غير الديمقراطية، لكنه كان فى الوقت نفسه أحد أهم رعاة الفنون فى أوروبا، وهو يمتلك مكتبة تضم مالا يقل عن ٤٠ ألف كتاب من مختلف أنحاء العالم ومجموعة أعمال فنية سألته عن عددها فلم يستطع تحديدها، لكنه قال إنها تحصى بالآلاف، لذلك فهى بالطبع غير معلقة على الحوائط، لكنها موضوعة فى شقة خاصة تعتبر أكبر مخزن للأعمال الفنية فى البرتغال خارج إطار المتاحف.

وماريو سوارش متزوج من ممثلة المسرح الأولى فى البرتغال ماريا باروزو التى كانت رفيقة نضاله ضد الدكتاتورية العسكرية لسالازار، وقد واصلت كفاحه خلال فترة نفيه خارج البلاد.

وفى قصر (بليم) الرئاسى بالعاصمة لشبونة والذى يعود تاريخه إلى القرن الـ ١٧ وتحيط به مساحات كبيرة من الحدائق الغناء شرفت بأن أقام لى الرئيس البرتغالى وزوجته مأدبة غداء على شرفى دُعِىَ إليها عدد من الشخصيات البرتغالية والسفير المصرى فى لشبونة آنذاك سمير سيف اليزل وزوجته.

وفى ردهات القصر الفسيح فتح الرئيس البرتغالى أبواب إحدى الغرف كى يطلعنى على مستند عن الحرب العالمية الأخيرة. كان يحدثنى عنه فإذا بنا وسط غرفة لا يبدو أنها

مستخدمة، حيث تكدست فيها الكراسي و(الترابيزات) فوق بعضها البعض وكأنها مخزن فقال الرئيس: اللعنة على هذا القصر وغرفه، قلت: لا بد أنها مهمة شاقة أن يحفظ أى إنسان كل غرف هذا القصر الكبير، فقال لى: خاصة إذا كان المرء لا يعيش فيه، قلت: ألا تقيم هنا؟ قال: بالطبع لا، أنا آتى هنا اليوم من أجلك فأنا لا أحضر إلى القصر إلا عند الضرورة وفى المناسبات الرسمية، قلت: وأين تقيم؟ قال: حيث كنت أقيم طوال عمري.. فى شقتى القديمة مع زوجتى وأبنائى الاثنين.

وفى الغرفة التالية كان مجلسنا، جرت فيها مقابلتنا الصحفية التى تحدثنا فيها حول الكثير من قضايا الساعة نشرتها فى حينها، وكان من بينها بالطبع أزمة الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية وسقوط الاتحاد السوفيتى وغيرها، والحقيقة أن مواقف الرجل كانت كلها واضحة لا مراوغة فيها، فقد أكد لى أن التعنت الإسرائيلى هو العقبة الرئيسية فى سبيل التسوية فى الشرق الأوسط، وانتقد رئيس الوزراء آنذاك إسحق شامير قائلاً: إنه رجل صعب.

أما عن القضية الفلسطينية فقال: إن الحل الوحيد هو إقامة الدولة الفلسطينية على التراب الوطنى الفلسطينى. وقال إنه لا سبيل للهروب من هذه الحقيقة. ثم سألته عن سقوط الاشتراكية وهو من أقطاب الاشتراكية الديمقراطية فى العالم، فقال إن النظم الاشتراكية هى التى سقطت لأنها غيبت الديمقراطية، أما مبادئ الاشتراكية ذاتها مثل العدالة الاجتماعية فهى لم تسقط.

ويمتلئ شريط التسجيل عن آخره فأعلم أن الساعة ونصف الساعة التى منحنى إياها الرئيس البرتغالى قد انتهت، فأشكره وأغلق جهاز التسجيل وينتقل الحديث إلى الموضوع المحبب لكلينا وهو الثقافة والفنون.

وفى الطريق إلى غرفة الطعام الرسمية بقصر (بليم) قال لى ماريو سوارش: لو أن الثقافة كانت هى لغة التفاهم بين الأمم بدلا من السياسة لخلا العالم من الصراعات والحروب، ومن نافذة مطلة على النهر، أشار ماريو سوارش إلى مبنى حديث فى مواجهة القصر، وقال: أتعرف هذا المبنى؟ قلت: يبدو لى أنه المبنى الذى زرتة بالأمس وهو مقر رئاسة المجموعة الأوروبية، قال: هذا صحيح، وقد خصصناه لهذا الغرض فى بداية هذا العام لأن البرتغال هى الآن رئيسة المجموعة الأوروبية، لكن رئاستنا ستنتهى مع نهاية العام، فهل تعرف

ماذا سنفعل بهذا المبنى، قلت: هل سيتحول إلى مبنى حكومي؟ قال: حاشا لله! إنه كما ترى على ضفاف نهر (تاج) القادم إلينا من طليطلة بأسبانيا، حيث آثار الحضارة العربية العريقة التي تقف شاهدا على امتزاج ثقافتينا عبر التاريخ، لذلك فقد قررت أن يتحول هذا المبنى إلى مركز ثقافي كبير يضم كافة الأنشطة الثقافية والفنية.

وبعد دقائق كنا على مائدة الغداء الرئاسية والتي وضع أمام كل مقعد فيها كارت أنيق يحمل عنوان (قائمة طعام حفل الغداء المقام على شرف الكاتب المصري محمد سلماوى) وتحديثنا خلال المأدبة عن العلاقات التاريخية بين البرتغال والدول العربية، وقال سوارش: إن ما يزيد من إمكانات التقارب بيننا أن البرتغال، لم تكن لها أية مستعمرات فى العالم العربي، لذلك فليس هناك عداً قديم فيما بيننا.



ماريو سوارش مع محمد سلماوى فى الأهرام إيدو

وتبدو على الرئيس البرتغالى علامات السعادة وهو يقول: هل تعلم أن هناك ما يقرب من ٦٠٠ كلمة من كلمات اللغة البرتغالية من أصل عربى!. إن ذلك يجعل اللغة العربية المصدر الثانى مباشرة للغة البرتغالية بعد الأصل اللاتينى.

ثم يتحدث سوارش عن مصر فيقول: إن الإعجاب بالحضارة المصرية هو من عاداتنا القديمة ، ولقد فتننت مصر الكثير من كتابنا على مر العصور، وفي عصرنا الحديث كان كاتبنا الكبير (أسادى كيروش) يزور القاهرة كثيرا فى أواخر القرن الـ ١٩ ويقيم بفندق (شبرد) القديم بميدان الأوبرا، ثم يعود فيكتب الكثير عن مصر فتقول ماريا باروزو زوجته: إن ماريو يحتفظ بجميع كتب (كيروش) فى مكتبته وكثيرا ما يعود لقراءتها. وقد لفت نظرى فى قائمة الطعام نوع غريب من الجبن لم أسمع به من قبل، وهو يقدم على الطريقة الفرنسية فى نهاية الوجبة وقبل الفاكهة، وحين حضر الجبن وجدته قرصا كبيرا أبيض اللون، وكأنه كعكة عيد ميلاد ولا يتم تقطيع هذا النوع من الجبن بالسكين، إنما يغرف من قلب القرص بالملعقة، لأنه طرى مثل (الكريمة). وسألت الرئيس عن هذا النوع من الجبن فقال: إنه جبن برتغالى (جبلى) لا تجده فى أى مكان آخر غير البرتغال واسمه Queijo da serra de estrela، ثم أضاف: إنه أكلتى المفضلة، فأنا أستطيع أن أعيش حياتى كلها على هذا الجبن.



## سونيا ملكة النرويج: إبسن أهم صادراتنا الوطنية



سونيا ملكة النرويج

قلت للملكة سونيا ملكة النرويج: إن مجيئك لمصر للاحتفال بمأوية كاتبكم المسرحي الأكبر هنريك إبسن يعتبر مناسبة غريبة حقا، فلم نعهد أن تصاحب ملكة أو سيدة أولى العروض المسرحية في تجوالها خارج البلاد، وإنما يكون تواجدها في المحافل الدولية من اجل القضايا السياسية أو الاقتصادية الكبرى! فقالت لى ملكة النرويج: إن إبسن هو أهم منتجاتنا الوطنية وهو سلعتنا التصديرية الأولى.

وقد قالت لى الملكة سونيا: إن عدد المرات التى تقدم فيها مسرحيات إبسن سنويا فى مختلف أنحاء العالم يحصى الآن بالمئات ولدينا فى النرويج مؤسسة إبسن التى تتابع تلك العروض لكى تعطى الموافقات الخاصة

بتقديمها. ثم أضافت الملكة: لكن هذه المرة تعتبر ذات طابع خاص لأننا لا نقدم مجرد عرض مسرحى لواحدة من مسرحيات إبسن، وإنما نقدم أهم وأكبر مسرحياته وهى (بيرجنت) احتفالا بمأويته الأولى.

ولم يغيب عنى خلال لقائى مع الملكة سونيا فى حفل العشاء الخاص الذى أقيم على شرفها خلال زيارتها لمصر، ذلك التقابل بين ما تمثله سونيا فى تاريخ الملكية النرويجية والقضايا التى اقترن بها مسرح هنريك إبسن أبى الواقعية فى المسرح العالمى، فسونيا هى أول ملكة تعرفها النرويج من عامة الشعب، وحين قرر ولى عهد النرويج الأمير هارالد أن يتزوج سونيا هارالدسن فى عام ١٩٥٩م اضطر أن ينتظر تسع سنوات كاملة قبل أن يحصل على موافقة والده الملك أولاف على إبرام هذا الزواج غير المسبوق فى تاريخ العائلة المالكة فى النرويج، وقد نتج عن الإعلان الرسمى فى مارس عام ١٩٦٨م بأن الملك قد أعطى موافقته لولى العهد على أن يتزوج من عامة الشعب، حوار قومى واسع حول مستقبل الملكية فى النرويج

أظهر وجود غالبية بين رأى العام فى جانب هذا الزواج ، وهكذا أقيم العرس الملكى فى أغسطس من العام نفسه ؛ وهكذا أصبحت سونيا أول ملكة نرويجية من عامة الشعب .  
على أن ذلك لم يكن نهاية المطاف فقد قررت سونيا أن تقوم بمسئوليتها كملكة إلى جانب زوجها الملك هارالد ، فهى الراعية الأولى فى النرويج للفنون كما تتولى مسئولية الكثير من منظمات العمل الاجتماعى ، ولها أيضا اهتمام خاص بقضايا المهاجرين ، وقد قامت بزيارة فى السبعينيات الماضية للاجئين الفيتناميين الذين يعيشون فى المراكب بأنهار ماليزيا ، وحين حصلت على جائزة نانسن التى تمنحها المفوضية العامة للاجئين التابعة للأمم المتحدة تبرعت الملكة سونيا بقيمة الجائزة وهى ٥٠ ألف دولار أمريكى لبناء المدارس لأبناء اللاجئين فى تنزانيا ، وقد شغلت منصب نائب رئيس الصليب الأحمر فى النرويج من عام ١٩٨٧م إلى عام ١٩٩٠م .

أما على المستوى السياسى فقد كانت الملكة سونيا أول ملكة تصاحب زوجها أثناء أدائه لقسم حماية الدستور يوم ٢١ يناير عام ١٩٩١م وكانت تلك هى أول مرة منذ ٦٩ عاما تتواجد فيها ملكة البلاد فى البرلمان النرويجى ، كما اعتادت الملكة سونيا أن تصاحب زوجها بعد ذلك فى الافتتاح الرسمى للبرلمان فى الخريف من كل عام لحضور خطابه السنوى فى هذه المناسبة .

ومن العادات التى ارتبطت بالملكة سونيا قيامها مع الملك بزيارة واحدة من مقاطعات النرويج فى كل عام حيث يمضيان يومين أو ثلاثة يزوران خلالها مختلف البلديات ، كما أنها تهوى التزلج على الجليد وفى كل عام تقوم بممارسة هوايتها مع بقية أهل النرويج .  
كل ذلك جعل من سونيا ملكة النرويج مثلا للمرأة المتحررة التى ثارت على التقاليد البالية فى سبيل تحقيق ذاتها ، وتلك هى القضية الرئيسية فى المسرح الواقعى الذى ارتبط باسم هنريك إبسن ، فتحرر المرأة وتحقيقها لذاتها هو موضوع مسرحيته الشهيرة (بيت الدمية) التى كتبها عام ١٨٧٩م والتى تتمرد فيها بطلتها نورا على حياتها مع زوج ينظر إليها كقطعة أثاث فى المنزل أو كدمية بلا شخصية ولا إرادة ، لذلك فهى تترك منزل الزوجية فى النهاية بحثا عن هويتها ودفاعا عن استقلاليتها .

وفى العام التالى كتب إبسن مسرحيته التالية (الأشباح) الذى قدم فيها المرأة البديلة لنورا بعد أن ثار المجتمع النرويجى ضد مسرحية (بيت الدمية) ؛ ففى (الأشباح) تقرر الزوجة البقاء فى بيت الزوجية رغم علمها بخيانة زوجها ، وهى تدفع بذلك القرار ثمنا باهظا من حياتها واحترامها لنفسها .

ثم كتب إبسن بعد ذلك مسرحية (عدو الشعب) ليتعرض هذه المرة للنفاق الاجتماعي الذي يفضل الإبقاء على المظاهر وعدم مواجهة الواقع الفعلي.

أما في مسرحية (بيرجنت) التي حضرت الملكة سونيا إلى مصر بمناسبة عرضها عند سفح الهرم احتفالا بمئوية كاتبها الكبير فقد جمع إبسن الكثير من القصص الشعبي النرويجي مع ذكريات الطفولة في ملحمة مسرحية رائعة يبحث فيها البطل عن نفسه فيجوب أركان العالم الأربعة لينتهي به المطاف عند قدمي رمز الحكمة- أبو الهول- في صحراء مصر كي يسأله: من أكون؟

إذن فالبحث عن الهوية وتحقيق الذات هو الذي كان الشغل الشاغل لإبسن وهو الذي دفع به إلى البحث عن شكل فني جديد صار يعرف باسم المسرح الواقعي، وهكذا أنزل إبسن هذا الفن العريق من برجه العاجي إلى الواقع المعيشي تماما كما فعلت سونيا ملكة النرويج التي قربت الملكية من عامة الشعب الذين جاءت منهم فبدأت مرحلة جديدة للملكية العصرية كما كان إبسن في رأي النقاد هو بداية المسرح الحديث في العالم.

وأسأل الملكة سونيا: ما هو أهم ما يجذبك في مسرح إبسن؟ فتقول: عصريته، فأنت حين تقرأ أو تشاهد إحدى مسرحياته لا تمكن أن تشعر أنها كتبت منذ أكثر من قرن كامل من الزمان وإنما تكاد تجزم أن كاتبها مازال يعيش بيننا.

ثم اسألها: ومن هي بطلتك المفضلة في مسرحه؟ فتقول بلا تردد: نورا طبعا، ثم تسألني: وأنت؟ فأقول لها بلا تردد: سونيا ملكة النرويج.



## عبدہ ضیوف: عائلتی تجسید لمنظمة الفرانکوفونیه!

قد لا يعرف البعض أن الرئيس السنغالی السابق عبدہ ضیوف المسیحی الكاثولیکی متزوج من سیده مسلمة من أصل عربی لبنانی وله منها أربعة أبناء وأحد عشر حفيدا، وحين تم تعيينه سكرتیرا عاما للمنظمة الدولية للفرانکوفونیه سألته: كيف تتعايش أسرة عبدہ ضیوف رغم اختلافات الأديان والأجيال؟.. فقال لی: إننا تجسید حی للفرانکوفونیه، فرغم اختلافاتنا فإننا جميعا نتحدث الفرنسية!

قابلت الرئيس السنغالی السابق عبدہ ضیوف فی بیروت فی خريف عام ٢٠٠٢م، كان وقتها قد تم انتخابه سكرتیرا عاما للمنظمة الدولية للفرانکوفونیه التي كانت تعقد قمتها فی ذلك الوقت فی العاصمة اللبنانية، وكان أول ما سألته هو: ما هي القضايا التي سيعني بها كسكرتیر عام جديد للفرانکوفونیه؟.. فقال لی: قضيتان.. السياسة والاقتصاد.

وعجبت من هذا الرد ذلك أن الفرانکوفونیه قامت منذ البداية على رابطة اللغة والثقافة بعكس مثيلها الإنجليزى وهو الكومنولث الذى يقوم بالفعل على السياسة والاقتصاد.

ومع ذلك فقد جاء رد عبدہ ضیوف متسقا إلى حد كبير مع طبيعة القمة التاسعة التي شهدتها بیروت فی ذلك الوقت. حيث طغت السياسة بشكل كبير على كلمات رؤساء الدول وخاصة قضية العراق، والتي تلتها فى اهتمام رؤساء الدول القضية الفلسطينية، وهكذا اتسمت اجتماعات القمة بنبرة تحد واضحة إزاء الولايات المتحدة المتهم الأول فى القضيتين.

ورغم أن القمة الفرانکوفونیه عقدت تحت عنوان بعيد تماما عن السياسة وهو (حوار الثقافات) فإنها بلورت إلى حد كبير روح التحدى التي تواجهها الولايات المتحدة فى العالم فى الوقت الحالى، وهو توجه ليس ببعيد عن السياسة الفرنسية، حيث كان الرئيس الفرنسى جاك شيراك أول من تحدث عما أسماه (الأحادية الأمريكية) وإذا كان الموقف الفرنسى لا يختلف فى ذلك عن الموقف الألماني مثلا إلا أن فرنسا قد وجدت فى المنظمة الفرانکوفونیه الإطار المناسب لتجسید هذا الموقف دوليا، وقد بدا هذا واضحا حين صدر البيان الختامى للقمة، وقد نص على الدعوى (لتأكيد المسئولية الجماعية من أجل التوصل إلى حل للأزمة العراقية).

ومن تابع مؤتمرات القمة الفرانكوفونية الثمانية السابقة على قمة بيروت يجدها في المعتاد تظاهرات ثقافية وفكرية لا تتخذ مواقف سياسية محددة، وقد تصورت أن الظرف الذى انعقدت فيه القمة التاسعة فى بيروت هو الذى فرض عليها هذا التوجه السياسى، لكن رد عبده ضيوف على سؤالى أوحى لى بأن الاتجاه إلى السياسة هو اتجاه مقصود لذاته، وليس وليد الظرف الحالى وحده.

سألت عبده ضيوف: هل تعتقد أن الفرانكوفونية قد وصلت الآن وبعد قيامها بـ ٢٦ عاما إلى سن الرشد الذى يفرض عليها تخطى الثقافة والاهتمام بالسياسة والاقتصاد؟  
ابتسم السكرتير العام للفرانكوفونية واعتدل فى مجلسه وهو يقول فى هدوء: إن الثقافة ليست حائلا دون الاهتمام بالسياسة صحيح أن اللغة هى التى جمعت أعضاء المنظمة لكننا لم نجتمع من أجل تدارس اللغة الفرنسية.. بل من أجل بحث مصالح الدول الأعضاء التى تجمع بينها هذه اللغة، فهل تجد فى ذلك غرابة؟  
قلت: على العكس إنى أجد أنه بدون التعبير السياسى الواضح لمنظمة الفرانكوفونية يغيب السبب وراء عضوية بعض الدول، ومنها مصر على سبيل المثال التى تشارك الدول الأعضاء الموقف السياسى أكثر مما تشاركها وحدة اللغة.

قال ضيوف: هذا صحيح، لكن مصر مع ذلك ليست بعيدة تماما عن اللغة الفرنسية.  
قلت: بل هى قريبة منها، وقد كانت أقرب وقت الاحتلال البريطانى حيث كان البعض حين يتحدثون لغة أجنبية يختارون الفرنسية بدلا من الإنجليزية للتعبير عن رفض الوجود العسكرى البريطانى، كما أن فرنسا كانت فى ذلك الوقت خير نصير للحركة الوطنية المصرية، لكنى أتحدث عن التطور الذى حدث لمنظمة الفرانكوفونية ذاتها ما بين رئيسين سنغاليين ليوبولد سنجور وأنت، فسنجور وهو أحد الآباء المؤسسين للمنظمة كان أديبا وشاعرا مهتما اهتماما كبيرا باللغة الفرنسية، أما أنت فقد دخلت المنظمة من باب السياسة وهكذا أضفت بعدا جديدا للفرانكوفونية التى كان الاعتقاد السائد من قبل هو أنها يغلب عليها الطابع الثقافى.

فقال عبده ضيوف: إن لروبير برازيلاك مقولة شهيرة تقول: إنه لا يوجد قادة للبشر بدون عمق شعرى، فالسياسة فى أفضل صورها قد تكون مثل الشعر محاولة لأن تعيش الشعوب أحلامها.

ولم يكن بغريب أن تأتي تلك المقولة من عبده ضيوف فقد عمل مع سنجور ١١ عاما تنقل خلالها بين عدة مناصب منها وزير الخارجية ووزير الصناعة ثم رئيس للوزراء إلى أن خلف سنجور في رئاسة الجمهورية، وهو يصف سنجور بأنه (صاحب منهج ورجل حوار) ثم يقول (إننى أعرف مبادئه جيدا وأقدرها لكننى لا أملك موهبته الثقافية). وسألت سكرتير عام المنظمة الفرنكوفونية: (ماذا تعنى لك اللغة الفرنسية؟). فقال على الفور (إنها وسيلتى فى التعبير عن نفسى، وهى نافذتى على العالم، وهى طريقى للمعرفة.. بل هى علاقتى بالعالم من حولى).

قلت له: ما هو فى تصورك ما يجمع بين مختلف أعضاء المنظمة الدولية للفرنكوفونية والذين بلغ عددها ٥٦ دولة (٥١ دولة عاملة و ٥ دول مراقبة)؟... فقال: المثل والمبادئ الفرنكوفونية من العدالة إلى الديمقراطية، ومن السلام إلى حقوق الإنسان، فاللغة تخلق منظومة تفكير مشتركة، وهى تخلق نظام إدارة واحداً، كما أن هناك أيضاً تاريخاً مشتركاً يجمع بين الكثير من الدول الأعضاء التى تعرضت للثقافة الفرنسية بطريقة أو بأخرى.

لكن الفرنكوفونية عند عبده ضيوف هى (أولاً وقبل كل شىء: قبول الآخر).. فالثقافة الفرنسية كانت دائماً أكثر انفتاحاً على العالم وثقافته المتعددة من مثيلتها البريطانية مثلاً، وهو يضرب مثلاً بالفرنسيين حين جاءوا إلى مصر فاهتموا بتاريخها رغم أن حملة نابليون لم تستمر إلا ثلاث سنوات فقط، بينما أمضت القوات البريطانية فى مصر ما يقرب من ٧٠ عاماً دون أن يصاب البريطانيون بذلك الوله بمصر الذى يعرف عن الفرنسيين.

وإذا كان عبده ضيوف يمثل مرحلة مختلفة فى تاريخ المنظمة الدولية للفرنكوفونية تتميز بالاهتمام - على حد قوله - بالسياسة والاقتصاد، فإنه فى ذلك يعتمد على خبرته السياسية الممتدة عبر سنين توليه رئاسة بلاده، بالإضافة لرئاسة منظمة الوحدة الأفريقية فى أواسط الثمانينيات..

وإذا كان اهتمامه بالسياسة قد عبر عن نفسه فى الوقوف أما الهيمنة الأمريكية فإنه يلخص رؤيته فى الاقتصاد بالقول بأن اقتصاد العالم يجب أن يخضع لقاعدة وسلطة عليا تفرض احترام الإنسان، وكذلك احترام البيئة والطبيعة، ولا بد من توزيع ثروات العالم فى إطار التضامن بين شعوب الأرض جميعاً لتقريب ذلك الفارق الشاسع بين الأغنياء والفقراء.



## شارل أرنافور: أنا الذى دعوت أم كلثوم لباريس!

تحت قدمى أهرامات دهشور التاريخية وقف المطرب الفرنسى العالمى شارل أرنافور يصور المنظر الخلاب بالكاميرا (الديجيتال) (الرقمية) الخاصة به، ثم قال لى: فى سننى الآن وقد وصلت إلى الـ ٨٣ تصبح هذه الكاميرا هى ذاكرتى الحقيقية التى لا تنسى شيئاً بسبب تقدمها فى السن! وفى الوقت نفسه وقف ابنه الشاب نيكولا إلى جانبه يصور المنظر نفسه، بينما أخذت حفيدته الصغيرة (ليلى) تجرى فوق العشب الأخضر الذى نما وسط النخيل فى هذه المنطقة الواقعة على حافة الصحراء.

كنت قد دعوت أرنافور إلى بيتى الريفى فى دهشور أثناء زيارته لمصر لقضاء يوم خارج جوفنادق والمسرح والحفلات الرسمية، وقد حضر ومعه عائلته المكونة من حوالى عشرة أشخاص من بينهم ابنه نيكولا المتزوج من فتاة نصفها من المغرب والنصف الثانى من تاهيتى وابنته كاتيا التى صاحبتة الغناء فى أوبرا القاهرة وزوجها رشيد الجزائرى وابنتهما الصغيرة ليلى بالإضافة لمسيو سايان مدير أعماله الذى لا يفترق عنه أبداً والذى يقول أرنافور إنه أحد أفراد العائلة، أما زوجته فلم تعد الآن قادرة على مرافقته فى رحلاته المتعددة حول العالم وعادة ما تسافر معه شقيقته عايده بدلا منها لكنها لم تصاحبه فى تلك المرة إلى مصر، لذلك فبمجرد وصوله إلى دهشور قال أرنافور: هذه هى عائلتى المصغرة، لقد أشفقنا عليك وعلى زوجتك فلم نحضر (القبيلة) كلها!

ولد أرنافور فى باريس يوم ٢٢ مايو عام ١٩٢٤م لأبوين من الأرمن كانا قد وصلا إلى العاصمة الفرنسية فى طريقهما للهجرة إلى الولايات المتحدة وكان اسمه شاه نور أرنافوربان وقد تحول اسمه الأول بعد ذلك إلى شارل حين اتجه إلى الفن، أما اسم عائلته فقد أسقط منه المقطع الأخير والذى يميز جميع الأسماء الأرمينية ويعنى (ابن) فأرنافوربان يعنى (ابن أرنافور).

كان والد شارل أرنافور الذى ولد فى إقليم جورجيا بروسيا ابن طباح القيصر الروسى نيقولا الثانى بينما انحدرت والدته من أرمن تركيا، ورغم أن شارل لم يرتبط بأصوله الأرمينية إلا متأخرا ففى صوته الذى تميزه رعشة خاصة تعرف فى الموسيقى باسم Tremolo يكمن شجن شعب أرمينيا كله.

وفى ذلك يقول أزنافور: لقد اكتشفت أرمينيا لأول مرة فى عام ١٩٦٣م أثناء رحلة فنية قمت بها فى ذلك الوقت إلى الاتحاد السوفيتى، لكنى لم أرتبط بها إلا بعد الزلزال المريع الذى وقع هناك فى ديسمبر عام ١٩٨٨م والذى قتل ٥٠ ألفا وشرد ما يقرب من نصف مليون شخص، فعندئذ تذكرت المذبحة التى تعرض لها الأرمن من قبل فقامت بتأسيس مؤسسة خيرية تحمل اسم (أزنافور وأرمينيا) لمساعدة أرمينيا التى لم أكن أتصور أنها ستتحرر أثناء حياتى كما حدث بعد انهيار الاتحاد السوفيتى حيث صارت الآن أرمينيا ومنذ عام ١٩٩١م دولة مستقلة.

وفى مصر حرص أزنافور على حضور قداس عيد الميلاد فى كنيسة الأرمن بالإسكندرية وقال لى: كنت أعرف أن مصر عرفت أعدادا كبيرة من الأرمن وبعضهم كانوا موسيقيين اعتبرهم أجدادى لكنى لم أكن أعرف أن أعدادهم بهذا الحجم الكبير.

والحقيقة أن أزنافور يشعر بارتباط كبير بمصر ليس فقط احتضانها للأرمن بعد المذابح التى تعرضوا لها على يد الأتراك أثناء الحرب العالمية، ولا بسبب تاريخها العريق والذى يهواه، لكن لأسباب موسيقية أيضا فهو من عشاق الموسيقى العربية، وقد قابل أعلامها مثل محمد عبد الوهاب وفريد الأطرش الذى جمعت به علاقة شخصية وعبد الحليم حافظ، وقد قال لى: هل تعرف أننى أنا الذى اقترحت على برونو كوكاتريس صاحب مسرح (الأولمبيا) فى باريس أن يستضيف أسطورة الطرب العربى أم كلثوم فى مسرحه بباريس؟ فى ذلك الوقت لم أكن قد قابلت أم كلثوم على الإطلاق لكنى كنت أعرف أغانيها بعد أن استمعت إلى صوتها لأول مرة أثناء زيارة لى إلى المغرب، وقد قلت لكوكاتريس إن أم كلثوم هى إحدى العلامات البارزة فى تاريخ الموسيقى فى العالم كله وإن عليه أن يضيف إلى سجل مسرحه العريق شرف استضافة أم كلثوم العرب.

وحين حضرت أم كلثوم إلى باريس وذهبت إلى حفلها حرص برونو كوكاتريس أن يقول لها: إننى مدين بنجاح هذا الحفل إلى شارل أزنافور فهو فى الحقيقة الذى دعاك إلى باريس.

ومثلما كان أزنافور من عشاق صوت أم كلثوم فقد كان أيضا من عشاق صوت المطربة المصرية المولد داليدا ومن أقرب أصدقائها وبعد رحيلها كتب أغنية فى ذكراها هى (بعض الحب يا الله بعض الحب) استلهم فيها الموسيقى المصرية.

وسألنى أرنافور عن الفرعون سنفرو صاحب أهرامات دهشور فقلت له إنه والد خوفو صاحب الهرم الأكبر فقال: إنى أعرف الابن لكن لا أعرف الأب، ثم أضاف مداعبا: هذا يثبت أنى صغير فى السن!

وشارل أرنافور من طبقة خاصة من الموسيقيين فى فرنسا الذين يكتبون كلمات أغانيهم وموسيقاها، وهناك فى فرنسا مؤلفو الأغنيات الذين يطلق عليهم اسم Paroliers أما أرنافور وليو فيريه وجورج براسانس وجيلبير بيكو فيطلق عليهم اسم شعراء Poètes الأغنية الفرنسية، وقد سألته ذات مرة: هل كنت دائما تتطلع إلى أن تصبح موسيقيا؟ فقال لى: كنت أعرف أننى سأعمل بالفن فقد كنت أهوى الأدب والموسيقى والتمثيل، وقد كان والدى الذى كان يملك مطعما روسيا فى شارع (لاهوشيت) فى باريس مغنيا بينما كانت والدتى ممثلة وكنت أشاهدهما أمام الجمهور منذ طفولتى فى كل من باريس وليون ومرسيليا حيث توجد تجمعات كبيرة من الأرمن ولقد ظهرت أنا نفسى على المسرح لأول مرة وأنا فى سن التاسعة.

والحقيقة أن أرنافور إلى جانب الغناء يقوم أيضا بالتمثيل وقد ظهر فى حوالى ٦٠ فيلما، كما أصدر عددا من الكتب كان آخرها مجموعة قصصية من تأليفه ظهرت فى باريس قبل مجيئه إلى مصر بأقل من شهر، لكنه يظل أحد أساطير الغناء الفرنسى ويصل عدد الأغنيات التى ألفها إلى أكثر من ألف أغنية وصلت معظمها إلى العالمية منذ برز اسمه على الساحة الموسيقية فى فرنسا عام ١٩٦٠م ثم سعد فى عام ١٩٦٤م إلى آفاق غير مسبوقه بأغنية (لاماما) التى باعت أكثر من مليون نسخة، ومن الغريب أن تلك هى الأغنية نفسها التى توقف أرنافور فى منتصفها أثناء حفلته بأوبرا القاهرة حين لم يتذكر بقية كلماتها، وقد قلت له: إن أى مطرب آخر كان سيكمل الأغنية بطريقة أو بأخرى حتى دون كلمات بأن يتغنى مع الموسيقى قائلا: لا لا لا لا! لكنه قال لى: هذا يكون خداعا للجمهور، فإما أن تغنى الأغنية كما يجب أو تعتذر للجمهور إذا لم تكن قادرا على غنائها، وهو ما فضلت أن أفعله.



## سول بيلو: نوبل لغة وليست جائزة!

حين قابلت الكاتب الأمريكي الراحل سول بيلو في بداية الثمانينيات كان قد مضى على فوزه بجائزة نوبل بضع سنوات فقط، لكنه كان - على حد قوله - يعاني من تأثير الجائزة التي قال إنها تصيب من يفوز بها بلعنة توقفه عن الكتابة، ومع ذلك فحين توفي بيلو في عام ٢٠٠٥م كان قد أصدر تسع روايات جديدة منذ حصل على جائزة نوبل عام ١٩٧٦م. لم يكن سول بيلو من الكتاب الروائيين الذين جذبوني لقراءة أعمالهم. ربما بسبب ذلك الكتاب غير الروائي الذي أصدره في نفس سنة فوزه بجائزة نوبل والذي تصادف أن كان أول كتاب قرأته له. وهو بعنوان (إلى القدس والعودة) وقد ضمنه بيلو مذكراته عن رحلة كان قد قام بها إلى إسرائيل، فقد وجدت الكتاب منحازا إلى جانب إسرائيل ومتجاهلا إلى حد كبير محنة الشعب الفلسطيني.

وقد ذكرني ذلك بكاتب أمريكي آخر هو (إللي فيزل) الذي لم يتحرر أيضا من أسر يهوديته. فافتقد إلى النظرة الموضوعية فيما يتعلق بالوضع في الشرق الأوسط. على أنى حين قرأت الأعمال الأدبية لسول بيلو وجدت فيها مضمونا إنسانيا نبيلًا يفوق كثيرا ما يقدمه فيزل وقد يكون فيه عوضا عن الإنحياز الذي يظهره بيلو في كتابه عن القدس. إن تلك القيمة الإنسانية في أعمال سول بيلو هي التي تبرر المكانة الرفيعة التي يحتلها في الرواية الأمريكية في القرن العشرين والتي تضعه إلى جوار وليام فوكنر، حيث يتقاسمان القرن فيما بينهما بعد أن تقاسم القرن التاسع عشر كل من هرمان ملفيل وناثانييل هوثورن ومارك توين.

ولد سول بيلو عام ١٩١٥م في كندا لأبوين مهاجرين من روسيا وكان اسمه الحقيقي سولومون (أى سليمان) بيلوز ثم غير اسمه إلى سول بيلو بعد أن انتقل مع أسرته إلى الولايات المتحدة واستقر في مدينة شيكاغو التي ارتبط اسمه بها، حيث تدور أحداث الكثير من رواياته فيها.

بدأ سول بيلو حياته يكتب للصحف عروضا عن الكتب الجديدة. وكان يتقاضى آنذاك عشرة دولارت عن كل مقال، لكن سرعان ما بزغ نجمه كاتبا رواثيا بعد الحرب العالمية

الثانية، وقد ساعد في تسليط الضوء على موهبته الأدبية ذلك الاهتمام الذى شهدته الولايات المتحدة بالأدباء اليهود بعد الأضهاد الذى تعرضوا له فى أوروبا أثناء الحرب، وفى تلك الفترة ظهر مثلا فيليب روث وبرنارد مالامود وسنتيا أوزيك لكن بيلو تفوق عليهم جميعا للعمق الإنسانى الذى تقدمه رواياته، كما تفوق عليهم أيضا فى غزارة إنتاجه وكان أول كاتب يحصل على الجائزة الوطنية للكتاب ثلاث مرات فى عام ١٩٥٤م عن رواية (مغامرات أوجى مارش) وفى عام ١٩٦٥م عن رواية (هترزوج). وفى عام ١٩٧١م عن رواية (كوكب مستر سامل).

وفى عام ١٩٧٦م فاز صول بيلو بجائزة نوبل فى الأدب عن مجمل أعماله، وجاء فى حيثيات فوزه أنه حصل على الجائزة (لتفهمه الإنسانى العميق ولتحليله الدقيق للثقافة المعاصرة) والحقيقة أن أعمال بيلو تهتم بإعلاء الجانب الإنسانى فى البشر فى عصر طغت فيه الحضارة المادية على كل شىء. وقد كانت وسيلته فى ذلك هى الروح الساخرة التى اشتهرت بها أعماله حتى فيما يتعلق بقضية الموت التى تحتل مكانا كبيرا فى أعماله. ولقد تحدث معى سول بيلو الذى قابلته فى بوسطن عن نشأته فى إحدى ضواحي مدينة مونتريال بكندا فقال إنه لم يمض بها غير السنوات التسع الأولى من حياته قبل أن ينتقل مع والديه إلى شيكاغو بالولايات المتحدة، وقال إن والده كان يعيش فى مدينة بتروجراد فى روسيا وأنه مدين بدخله لمصر حيث كان يستورد منها البصل الذى كان يدر عليه دخلا لا بأس به استطاع من خلاله أن يبني أسرته وتجميع بعض المال الذى مكنه من الهجرة إلى كندا حيث كانت شقيقته تعيش هناك.

وحين تحدثنا عن فن الرواية أخذ بيلو على الروائيين المعاصرين اهتمامهم الزائد بالشكل الروائى فى محاولة للاقتراب من وضع الشعر لأنهم يتصورون أن ما سيخلد أعمالهم هو الشكل الفنى، بينما الحقيقة أن ما أبقى لنا روائع القرن الماضى من تولستوى ودستوفسكى وفلوبير وديكنز كان ثراء الأحداث وتنوع المشاهد وعمق الشخصيات التى انطبعت الآن بشكل دائم فى الذاكرة الإنسانية.

وأعرب بيلو عن اعتقاده بأن الروائيين الفرنسيين هم الذين بدأوا هذا الاتجاه بما أسموه (الرواية الجديدة) و (الرواية الضد) وقال إن هذا راجع إلى أن معظم الروائيين الجدد لا يتمتعون بالقدرة على خلق مواقف درامية قوية كتلك التى حفلت بها روايات القرن التاسع عشر.

وسألت بيلو عن جائزة نوبل فقال على الفور (إنها لعنة وليست جائزة) وكنت قد قرأت أنه قال إن جائزة نوبل نادرا ما كانت بالشىء الجيد للأديب. وهى فى معظم الأحيان تحول دون استمراره فى الكتابة. لذلك سألته عن رأيه هذا حيث ضرب أمثلة على ذلك بجون شتاينبك وسنكلير لويس اللذين - على حد قوله - لم يفيقا من الخمر منذ حصول كل منهما على جائزة نوبل، وأرئست همنجواى الذى أفلح عن الكتابة تماما بعد حصوله عليها.

وكثيرا ما تذكرت مقولة سول بيلو هذه عن نوبل بعد سنوات من لقائى به، حيث وجددت على سبيل المثال أن أديبنا الكبير نجيب محفوظ لم يكتب الرواية بعد فوزه بجائزة نوبل، فقد كانت آخر رواية كتبها هى (قشتم) التى صدرت فى كتاب بعد فوزه بنوبل، لكنها نشرت مسلسلة فى (الأهرام) قبل الجائزة! كذلك فقد سمعت كاتبة جنوب أفريقيا نادين جورديمير تشكو لمحفوظ من أنها تشعر بأن الرواية التى كانت تكتبها فى عام ٢٠٠٥م حين قابلته ستكون روايتها الأخيرة، وأنها تخشى الآن ألا تكتب ثانية.. أما جابرييل جارتيا ماركيز فلم يعد سرا أنه يعانى الآن من عدم القدرة على الكتابة، وقد أخبرنى بنفسه بذلك فى لقاء معه فى الولايات المتحدة، ثم وجدت بعض الصحف بعد ذلك بفترة طويلة تتناقل الخبر نفسه، مما يعنى أنه مازال فى معاناته مع الكتابة. فهل كان ذلك بسبب حصول هؤلاء الأدباء على جائزة نوبل؟.. إن الغريب فى الأمر أنه فى الوقت الذى صدقت مقولة سول بيلو على هؤلاء الكتاب فهى لم تصدق عليه هو. ولقد أحصيت عدد الروايات التى صدرت له منذ فاز بجائزة نوبل فى أكتوبر ١٩٧٦م وحتى وفاته فى أبريل ٢٠٠٥م فوجدتها تسع روايات.



## لورد كارادون: أعتبر نفسي فلسطينيا!

كان الدبلوماسى البريطانى المحنك لورد كارادون هو صاحب أشهر قرار أصدرته الأمم المتحدة فى قضية الشرق الأوسط وهو القرار ٢٤٢ الذى استخدم فيه كارادون براعته الدبلوماسية واللغوية أيضا فنجح فى أن يحصل على موافقة الجانبين العربى والإسرائيلى على القرار، لكنه بسبب غموضه صار قرارا غير قابل للتنفيذ لأن كل طرف قرأه بشكل مختلف عن الآخر.

ارتبط اسم لورد كارادون بالشرق الأوسط منذ عشرينيات القرن العشرين، فبمجرد تخرجه فى جامعة كامبريدج عام ١٩٢٨م عين فى فلسطين ضمن إدارة الانتداب البريطانى وكان فى ذلك الوقت شابا فى الـ ٢١ من عمره يحمل اسم هيو فوت، وفى عام ١٩٥٦م عين وزيرا للدولة للشئون الخارجية وحصل على لقب لورد كارادون، أصبح مندوبا دائما لبريطانيا فى الأمم المتحدة خلال فترة من أهم الفترات بالنسبة للقضية العربية وهى فترة حرب ١٩٦٧م وما تلاها.

وخلال فترة عمل لورد كارادون فى المنظمة الدولية ظهرت مهارته بشكل واضح حين توصل إلى صيغة لقرار وقف إطلاق النار بين العرب وإسرائيل قبلتها جميع الأطراف: العرب وإسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وقد كان معروفا فى أروقة الأمم المتحدة أن لورد كارادون هو الذى كتب هذا القرار بنفسه، وقد اعتبر القرار ٢٤٢ مثلا كلاسيكيا للمراوغة البريطانية فقد صيغ بطريقة جعلت كل طرف يفهم بطريقته فيقبله على الفور.

وقد لا يعرف البعض أن لورد كارادون كان يتحدث العربية، وتلك حقيقة اكتشفتها حين قابلته أثناء زيارة قام بها للقاهرة عام ١٩٧١م ممثلا لبرنامج التنمية التابع للأمم المتحدة. قال لى لورد كارادون حين سألته كيف تعلم العربية: لقد عشت سنوات طويلة مع العرب فى فلسطين وتعلمت منهم اللغة لأننى كنت قريبا منهم، ثم قال: لقد بدأت حياتى ضابطا فى الجيش البريطانى فى فلسطين عام ١٩٢٩م، ومكثت هناك ثمانى سنوات،

كما أمضيت أربع سنوات أخرى أخدم في الأردن، وعشت أيضا في ليبيا.. إننى أعرف الشعب العربى جيدا وأكن له كل تقدير واحترام، أما الشعب الفلسطينى فتربطنى به علاقة عاطفية وأنا أعتبر نفسى فلسطينيا.

ولم يكن من الممكن ألا أسأل لورد كارادون عن قراره الشهير الذى حير العالم أجمع وهل هو ينص على الانسحاب الكامل من الأراضى المحتلة كما يفهم العرب أو من بعض الأراضى كما يصير الجانب الإسرائيلى؟

فقد لورد كارادون حاجبيه الكثيفين وقال: إن معنى القرار واضح كل الوضوح، فمعنى أى وثيقة لا يؤخذ من جملة واحدة فيها، وإنما من تكامل المعنى فى كل أجزائها، والقرار رقم ٢٤٢ الذى قدمه الوفد البريطانى وأصدره مجلس الأمن فى نوفمبر ١٩٦٧م ينص صراحة على عدم جواز ضم أراضى دولة إلى دولة أخرى بالقوة.

قلت: إن إسرائيل كثيرا ما تتلمص من القرار برمته قائلة إن الأحداث قد تخطت فترة صدور القرار ولذلك فلا يجوز أن نتمسك بقرار صدر عام ١٩٦٧م قبل عقود مضت.

فقال لورد كارادون وهو مازال مقظبا: إن المبادئ ليست مثل (الموضة) تتغير كل عام، فالمبادئ - إذا كانت مبادئ - يجب أن تكون ثابتة، ولا يهم بعد ذلك فى أى عام نحن، ومبادئ حل مشكلة الشرق الأوسط موجودة فى القرار ٢٤٢ وليست فى مكان آخر.

وكان لورد كارادون يرى أن تحقيق التسوية النهائية للصراع العربى الفلسطينى لن يأتى إلا من خلال المنظمة الدولية، فهو لم يكن يؤمن بالمبادرات الأخرى، سواء أكانت من جانب الولايات المتحدة أم غيرها، وقد قال لى صراحة حين سألته عن أن الولايات المتحدة هى التى تملك الحل بحكم علاقتها الخاصة بإسرائيل:

إن تلك العلاقة الخاصة تجعل الولايات المتحدة طرفا فى القضية، وبالتالي فهى لا تستطيع أن تأتى بالحل العادل الذى يرضى الجانب العربى مثلما يرضى الجانب الإسرائيلى.

وعن القضية الفلسطينية التى كان يقول دائما إنها قريبة إلى قلبه، قال لورد كارادون: إن علينا أن نعطى الفلسطينيين حلا عادلا يستطيعون قبوله.

وأحسست أنه غير راض عن عما يطرح على الفلسطينيين من حلول جزئية، وأنه ربما يلمح لضرورة قيام دولة فلسطينية كحل نهائى لمشكلة الشعب الفلسطينى فسألته: ماذا تقصد بالحل الذى يستطيعون قبوله؟

قال: أقصد أنه من العبث أن يكون الطريق الوحيد كى يعيش الفلسطينيون فوق أراضيهم هو أن يصبحوا مواطنين إسرائيليين، وإذا كان لنا أن نعطيهم فرصة الخيار فلنعطها لهم كاملة، أى أن نمحهم اختيارا واضحا يتضمن كل ما يترتب عليه من حقوق تتفق مع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بمشكلتهم والتي صدرت منذ عام ١٩٤٨م لكنها لم تنفذ. ثم صمت قليلا وعاد يقول: لقد قلت مرارا فى الأمم المتحدة إن الذى يعارض عودة الفلسطينيين إلى ديارهم إنما هو عدو للسلام العادل.

سألته: هل أنت متفائل من إمكانية إيجاد حل للقضية الفلسطينية؟

قال بلا تردد: إن ثقتى فى الشعب الفلسطينى كبيرة جدا، وهم لن يتركوا حقوقهم بأى حال من الأحوال، فإذا لم يتمكن المجتمع الدولى من إيجاد الحل لمشكلتهم، فإنهم سيجدونها بأنفسهم.. ربما بالقوة.

كان ذلك فى أوائل عام ١٩٧١م، واليوم حين أنظر إلى ما حدث لقضية الشرق الأوسط أجد أن لورد كارادون كان له بعد نظر لم نلتفت إليه آنذاك، فهى ذى محاولات التسوية التى اعتمدت على الولايات المتحدة على أساس أنها تملك ٩٩٪ من أوراق اللعب، قد باءت بالفشل ومضت عدة عقود منذ اعتمدها دون أن تحل القضية الفلسطينية، وهى هو ذا الشعب الفلسطينى بعد أن عجز المجتمع الدولى عن تحقيق السلام الذى يتطلع إليه يحاول أن يضع دولته بيده وبالقوة كما قال لورد كارادون.

لقد كان لورد كارادون الذى توفى عام ١٩٩٠م، يمثل نوعية فريدة من رجال الإمبراطورية البريطانية، فقد علمته فترة خدمته فى فلسطين والأردن وليبيا أن حق الشعوب فى الاستقلال هو حق مقدس لا تمكن مقاومته أو إغفاله، ولن أنسى أبدا قوله لى وهو يضحك: إننى لم أخدم فى مستعمرة من مستعمرات الإمبراطورية البريطانية إلا وخرج منها العلم البريطانى ورائى!



## بيل جيتس: لن أترك ثروتي لأولادى!

حين قابلت بيل جيتس كنت حريصا على اكتشاف الجانب الآخر من هذا الرجل الذى يعتبر أغنى رجل فى العالم والذى لا يزيد عمره على الـ ٥٠ عاما، وقد وجدت خلف صاحب البلايين - وليس الملايين - إنسانا يتمتع بضمير اجتماعى يقظ جدا ويعتقد أنه إذا كان قد حقق هذا الثراء الأسطورى فإن ذلك يجعله مدينا للمجتمع الذى مكنه من ذلك. من المعلومات التى أذهلتنى فى سيرة بيل جيتس أنه بدأ عمله على تطوير الكمبيوتر وهو مازال طالبا بالجامعة، وأنه استطاع أن يجمع تلك الثروة الطائلة التى جعلته أغنى رجل فى العالم وهو مازال فى الأربعينيات من عمره حتى وصل الآن إلى أن أصبح أغنى رجل فى التاريخ الإنسانى الحديث.

ولقد صنع بيل جيتس ثروته بذكائه وبجهوده الشخصية ولم يرث منها مليما واحدا. فهو أكبر عبقرية فى العالم الآن فى برمجة الكمبيوتر رغم أنه لم يكمل دراسته الجامعية التى قضى منها ثلاث سنوات فقط بجامعة هارفارد العريقة، لكنه تركها ليؤسس مع صديق له شركة (ميكروسوفت) التى تعتبر الآن أكبر شركات تكنولوجيا المعلومات فى العالم، وقد وصل رأسمالها إلى ١٥٠ مليار دولار. أى ضعف إجمالى الدخل القومى المصرى. أما دخل الشركة فهو ٣٥ مليار دولار سنويا.

وبيل جيتس يهتم اهتماما شديدا بتطوير التكنولوجيا داخل شركته حتى أنه رصد مبلغ ٦.٨ مليار دولار من ميزانية الشركة للأبحاث والتطوير، وهو إلى جانب كونه رئيس مجلس إدارة (ميكروسوفت) فقد احتفظ لنفسه أيضا بموقع المسئول عن التطوير فى الشركة حتى يشرف على ذلك بنفسه.

ومن المعروف أن بيل جيتس يضيف إلى ثروته الطائلة مليون دولار كل ساعة، لهذا قيل إنه لو سقط منه فى الطريق عشرة آلاف دولار فمن الأفضل أن يتركها ويمضى إلى عمله حيث إن الثوانى التى سيقضيها فى التوقف لالتقاط هذا المبلغ ستتكلف من وقت عمله أكثر من قيمة المبلغ نفسه.

ولقد قابلت بيل جيتس أثناء زيارته للقاهرة عام ٢٠٠٤م وكان أول سؤال وجهته له هو: ما هو الإنجاز الأكبر الذى تشعر بالرضا لأنك حققته؟.. قال بلا تردد: إن الكمبيوتر صار هو أداة التعليم الأولى فى العالم فأصبح التعليم فى متناول الجميع.

فى كتاب ألفه بيل جيتس بعنوان (الطريق الذى أمامنا) The Road Ahead قال: إن التعرف على مستوى دخل الفرد فى الماضى كان بالسؤال عن البلد الذى ينتمى إليه، أما الآن فإن ما يحدد مستوى دخل كل فرد هو نوعية التعليم الذى حصل عليه. ولقد ثبت أن طلبة المدارس الذين يمتلك آباؤهم جهاز كمبيوتر يحققون نجاحا أكبر فى دراساتهم من زملائهم الذين لا يستخدمون الكمبيوتر، لذلك اهتم بيل جيتس بأن يوفر الكمبيوتر فى جميع المكتبات حتى يكون فى متناول الجميع.

وقد ذكر بيل جيتس إنه قرأ وهو طالب دائرة المعارف كلها (!) حيث كان يبدأ بكل حرف على حده إلى أن ينتهى منه فيبدأ فى الحرف التالى حتى انتهى من دائرة المعارف كلها، لكن أى طالب الآن أصبح بمقدوره أن يطالع على أية معلومة فى دائرة المعارف عن طريق الكمبيوتر دون أن يقرأها أو يضطر لحفظها.

قلت لبيل جيتس: يتصور البعض أنك تمضى الجزء الأكبر من وقتك فى محاولة إنفاق هذا المال الطائل الذى تملكه فضحك وقال بل إنى أمضى معظم وقتى فى العمل، فأنا أمضى حوالى ١٤ ساعة فى اليوم فى العمل بينما قوانين العمل الدولية تحدد ساعات العمل اليومية بثمانى ساعات فقط، وقد ظللت أفعل ذلك منذ أسست شركة (ميكروسوفت) وأنا فى العشرين من عمرى.

قلت: لكن لا بد أن يشغلك ما تريد أن تفعله بهذه المليارات.. قال تلك مسألة لا تشغلنى على الإطلاق لأننى وصلت فيها إلى قرار منذ سنوات، فهذا المال جاءنى من المجتمع، لقد تمكنت من خلال اجتهادى أن ألبى احتياجات أساسية للناس فكافأنى المجتمع بسخاء، لذلك فأنا أحب أن يعود هذا المال مرة أخرى إلى المجتمع، قلت: كيف؟ هل ستتبرع به بالكامل للأعمال الخيرية؟.. قال: البعض منه فقط سأهبه لأعمال الخير، لكن الجزء الأكبر سيذهب إلى الاستثمارات الخاصة بتطوير المجتمع، فإن ما يحدد سلامة أى مجتمع هو حجم الأموال التى تنفق فى تطوير المستقبل وليس ما ينفق للاستهلاك فى الحاضر.

وكنت قد قرأت أن بيل جيتس لن يهب أولاده ثروته الضخمة فسألته: ألن تترك أى شىء لأولادك؟.. قال: إن لى ثلاثة أولاد أحبهم حبا كبيرا جدا، وأنا أعتقد أن الثروة المتضخمة تفسد الإنسان، وأن المليارات قد تتعس أولادى أكثر مما تسعدهم، كما أننى أعتقد أن المجتمع أحق بهذا المال، لكنى أعتقد أيضا من حقى وقد بذلت مجهودا كبيرا أن أترك لأولادى المال الذى يجعلهم أغنياء، لذلك فإنى سأترك لكل واحد من أولادى الثلاثة مبلغ عشرة ملايين دولار، لكن باقى هذه الثروة يجب أن تعود إلى المجتمع. قلت: وأنت؟.. لماذا لم تفسدك تلك المليارات؟.. قال: لأنى لا أعتبرها ملكا لى أنفقتها على ملذاتى. فهى نتاج لعمل متواصل لى ولغيرى من أعوانى لذلك فهى ملك للشركة، أما دخلى الشخصى فإنى أنفق منه ما احتاجه أنا وأسرتى لنحيا حياة سعيدة، لكن الجزء الأكبر يذهب لخدمة المجتمع، فأنا أقوم بتمويل أبحاث عملية كثيرة لإيجاد علاج للأمراض المستعصية مثل (الإيدز).

وقد أسست شركة ICOS للعلاج بالبروتين، فأنا مهتم جدا بالاكتشافات الطبية ولا أنام قبل أن أطلع على أحدث الاكتشافات العلاجية.

قلت لبيل جيتس: ماذا تتوقع لتكنولوجيا المعلومات فى القرن الـ ٢١؟ قال: إن التقدم العلمى أصبح يجرى بخطوات واسعة فى عصرنا هذا بحيث لم يعد بمقدور أحد أن ينظر بعيدا ويتنبأ بما سيحدث فى نهاية القرن. إن أقصى ما نستطيع التنبؤ به هو ما قد يحدث فى نهاية العقد وليس فى نهاية القرن. قلت: وماذا تتوقع للكمبيوتر فى نهاية العقد؟.. قال: أن يصبح حجمه أصغر بكثير من حجمه الحالى وأنه بالصوت بحيث نصدر له أوامرنا شفاهة ودون أن نضطر لكتابتها، كما أتوقع خلال السنوات القليلة القادمة أن تزيد سرعة عمل الكمبيوتر لتصل إلى سرعة التليفون بحيث ما أن تنتهى من الأمر الذى أصدرته حتى يبدأ تنفيذه إن ذلك سيوفر وقتا كبيرا جدا نقضيه أمام شاشة الكمبيوتر فى الانتظار.



## داليدا: أصبحت مطربة بالصادفة!

تربعت المطربة الفرنسية الجنسية، الإيطالية الأصل، المصرية المولد، داليدا، على عرش الغناء في فرنسا لأكثر من ٣٠ عاما، منذ تركت حى شبيرا بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٥٤م بحثا عن النجاح فى عاصمة النور، وهو النجاح الذى لم يتأخر كثيرا، فقد جاءها حين ذاع حيث أغنيتها (بامبينو) عام ١٩٥٦م، وقد لازمها هذا النجاح إلى أن قررت إنهاء حياتها فى مايو ١٩٨٧م ففاجأت بذلك الكثيرين لكنى أنا لم أفاجأ..



ولقد روت لى داليدا أنها منذ طفولتها وهى تحلم بالنجومية، لكن ظروف نشأتها المتواضعة فى القاهرة كانت تذكرها دائما بالواقع الذى تعيشه والذى كان يقنعها بأن كل آمالها فى النجومية ما هى إلا أحلام، فقد كان والدها يعمل عازفا للكمان فى أوبرا القاهرة القديمة. وبعد وفاته كانت والدتها تحيك ملابس المدارس لأحد المحلات الكبرى فى القاهرة حتى تصرف على أولادها الثلاثة فكانت تقتصد فى القماش الذى يسلمه لها المحل حتى تتمكن من توفير ما يسمح لها بعمل ملابس المدرسة لأولادها أيضا.

قالت لى داليدا: أسئلتك تختلف عن بقية من يوجهون لى الأسئلة، فأنت دائما تسألنى عن الماضى وليس عن أحدث أغنياتى، ثم ضحكت وهى تقول: هل ستكتب عنى كتابا؟ قلت: لقد كتبت عنك كتابا

كثيرا لكن حياتك تستحق أن يكتب عنها المزيد، فليس من السهل أن تتربع مطربة على قمة المجد طوال هذا الوقت وتظل المطربة المحبوبة رغم تغير الأمزجة الموسيقية من حقبة إلى أخرى، قالت: قد تعجب إذا قلت لك إننى لم أكن أنوى أن أصبح مطربة وإنما ممثلة سينمائية! ولاحظت داليدا علامات الدهشة على وجهى فقالت: صدقنى، لقد كانت

أحلامى كلها وأنا طفلة صغيرة فى حى شبرا معلقة بتلك الملصقات الكبرى التى كنت أشاهدها على واجهات دور السينما لهيدى لامار وآفا جاردنر وريتا هيوارث. كنا فى قصر الرياضة بباريس حيث كانت داليدا تقوم بعمل التدريبات على حفلها الغنائى الجديد، وجاء موعد الغداء فتناولت فنجانا من الشاى الساخن وقالت لى: هذا هو غدائى إلى أن أعود للمنزل لكن يجب أن يكون الشاى حارقا *brulant* فهذا هو ما يمنحنى النشاط، وإذا لم يكن حارقا لا أشربه.

قلت: وما هى قصتك مع التمثيل؟ قالت: كانت البداية فى مدرسة الراهبات الفرنسيسكان بالقاهرة حين مثلت دور إزيس فى حفل نهاية العام، وبعد ذلك بسنوات قرأت فى جريدة (جورنال ديجيببت) إعلانا عن مسابقة للجمال فاشترت مايوها وذهبت إلى الأوبيرج دون أن أخبر أحدا وشاركت فى المسابقة، لكن من سوء حظى أننى فزت فنشرت صورتى بالمايوه فى صحف اليوم التالى، وهكذا عرفت والدتى بما حدث فعاقبتنى بأن قصت لى شعرى، وتضحك داليدا ثانية وهى تقول: لكن ما أن طول شعرى ثانية حتى نسيت عقاب والدتى وهرعت إلى منطقة الأهرامات حيث كان يتم تصوير فيلم أمريكى تجرى أحداثه بين آثار مصر القديمة وكان بطولة ريتا هيوارث وروبرت تيلور وكانوا يبحثون عن بعض الكومبارس، ورغم أنهم لم يأخذونى إلا أنى على الأقل شاهدت ريتا هيوارث التى كنت مغرمة بها وكنت كثيرا ما أغنى أغنيتها الشهيرة (أمادو ميو) التى غنتها فى أحد أفلامها، ثم تلتقيت بعد ذلك بقليل عرضا من المخرج المصرى الراحل نيازى مصطفى لأقوم بدور ثانوى فى فيلم كان يخرجته فى ذلك الوقت لسامية جمال اسمه (سيجارة وكاس).

قلت: إن من يشاهد الفيلم يلاحظ على الفور التشابه بينك وبين ريتا هيوارث خاصة ذلك الشعر الهائج الذى كان أحمر فى حالتها أسود فى حالتك، لقد غنيت أيضا فى الفيلم مثل ريتا هيوارث، ومن يشاهد الفيلم يجب أن يخفق قلبه لذلك الصوت الدافىء العميق الذى كان لتلك الممثلة الناشئة التى اختار لها نيازى مصطفى اسم (دليلة).  
قالت: إن دليلة كانت ممثلة تغنى، أما داليدا فهى الآن مطربة تمثل.

قلت: كيف تحول الاسم من دليلة إلى داليدا؟ قالت: حين سافرت إلى باريس كانوا يداعبوننى طوال الوقت ويسألوننى: ماذا فعلت بشمشون؟ ثم اقترح على مكتشفى ذات يوم أن أغير الاسم قليلا ليصبح داليدا بدلا من دليلة، قلت له: لكن لا أحد اسمه داليدا قال: ستكونين أنت وحدك صاحبة هذا الاسم.

قلت لداليدا: كيف لم تدركي حين غنيت في فيلم (سيجارة وكاس) أنك ولدت لتكوني مطربة؟  
قالت: كنت ما زلت أبحث عن نفسي، وحين سافرت إلى باريس في نهاية عام ١٩٥٤م  
كان ذلك بغرض البحث عن النجومية في عالم السينما، وقد وضعت كل ما قمت بتحويله  
من مرتبي في مصر في تذكرة باريس هذه.

قلت ماذا كنت تعملين؟ قالت: سكرتيرة في شركة للاستيراد والتصدير، وكان مرتبي

١٢ جنيها!!

قلت: لكنك حين وصلت باريس عملت بالغناء منذ البداية ولم تعملي بالتمثيل، قالت:  
كانت تلك هي الفرصة الوحيدة المتاحة أمامي، فعملت في الكباريهات مطربة كي أستطيع  
أن أعيش، لكن مضت حوالى سنة ونصف ولم أتقدم خطوة واحدة لا في التمثيل ولا حتى  
في الغناء، فأنا لم أذهب إلى باريس للغناء في الكباريهات.

ثم تبتسم داليدا وهي تقول: ومن الطريف أن جرى في نفس الدور الذى كنت أسكن  
به في باريس كان شابا وسيما له نفس أحلامى في التمثيل، وكان يقول لى: يا بختك!  
فأنت على الأقل تعملين في كباريه وتحصلين على أجر في نهاية اليوم، أما أنا فبلا عمل،  
لكن القدر حقق لهذا الشاب حلمه بعد ذلك وأصبح ممثلا مشهورا اسمه (آلان ديلون).

قلت: وكيف أصبحت المطربة الكبيرة بعد ذلك قالت: بالمصادفة، ففي أبريل عام  
١٩٥٦م حزمت حقائبي وقررت العودة إلى مصر بعد أن فشلت في تحقيق أحلامى، وعندئذ  
دعيت للغناء في مسرح الأولبيا الشهير الذى كان يقيم في يوم إجازة المسرح حفلا مفتوحا  
للمواهب الغنائية الشابة تحت عنوان (نجوم الغد)، فأخرجت فستان السهرة الوحيد الذى  
كنت أملكه من شنطة السفر، وذهبت إلى الحفل، لكنى عدت من هذا الحفل لأخرج بقية  
ملابسى وأعدل عن السفر نهائيا، فقد استمع إلىّ فى مسرح (الأولبيا) مدير إذاعة أوربا رقم  
واحد لوسيان موريس ووقع فى غرام صوتى من أول لحظة ثم وقع بعد ذلك فى غرامى أنا  
شخصيا ووقعت فى غرامه من أول مقابلة، كما كان موجودا بالمسرح أيضا صاحب شركة  
اسطوانات جديدة هو إيدى باركلای الذى كان يبحث عن أصوات جديدة تكون شركته  
هى صاحبة حق تسجيل أغانيهم، وكانت تلك مصادفة غريبة حددت مسار حياتى الفنية

بعد ذلك فأتجهت إلى الغناء لأن من يحصل على عقد سخي لتسجيل اسطوانات لا يمكن أن يرفض قائلاً إنه يريد أن يكون ممثلاً فقط.

وقد قابلت داليدا بعد ذلك في مناسبات متعددة كانت آخرها حين جاءت إلى مصر تصور فيلم (اليوم السادس) ليوسف شاهين، فمن المصادفة أن أول فيلم مثلته كان لمخرج مصرى هو نيازى مصطفى وآخر فيلم مثلته كان لمخرج مصرى أيضاً هو يوسف شاهين، وكانت داليدا قد مثلت أكثر من فيلم فى فرنسا منذ تحولت إلى نجمة لامعة فى عالم الغناء، لكنها كانت كلها أفلاماً بلا قيمة فنية كبيرة.

كنا فى حفل عشاء بمنزل أحد الأصدقاء فى الزمالك وكانت داليدا تستعد للعودة إلى باريس فى اليوم التالى بعد أن أتمت تصوير مشاهدنا فى الفيلم.

فى تلك الليلة كانت تبدو ساهمة شاردة الذهن، كانت تلك البهجة التى أحاطت بها فى سنواتها الماضية قد ولت ليحل مكانها حزن لا تخطئه العين، اقتربت منها وقلت لها: ها أنت قد حققت كل أحلام الطفولة فصرت نجمة لامعة فى عالم الغناء والتمثيل أيضاً، فلم تعلق واكتفت بالقول: أمازلت تذكر؟ ثم أخذت تنظر للكأس التى أمامها وهى تسيح فى عالم آخر وفجأة رفعت بصرها إلىّ وقالت: ما قيمة أن يحقق المرء أحلامه فى الحياة العامة ويفشل فى تحقيقها فى حياته الخاصة؟!

وكانت تلك هى مأساة داليدا الحقيقية، فقد أمضت حياتها تتسلق سلم المجد والنجاح بالعرق والدم والدموع وحين وصلت إلى قمته وجدت نفسها وحيدة كانت حياتها الخاصة خاوية لا حب فيها ولا زوج ولا أسرة، وكثيراً ما قالت داليدا فى أحاديثها إنها كانت دائماً تعيسة فى الحب، وإنها تعرف أن الإنسان لا يستطيع الحصول على كل شىء، لكنها كانت بهذا القول تدارى أحزانها فقد كانت فى داخلها تعاني من الوحدة القاتلة التى يزداد إحساس الإنسان بها حين تحيطه أضواء النجاح الساطعة والتى كثيراً ما تفصل بينه وبين الحياة الحقيقية.

وبعد أسابيع قليلة من مقابلتي الأخيرة مع داليدا، صرفت داليدا خادمتها وحين  
صارت وحدها فى منزلها بحى مونمارتر بباريس كتبت على ورقة صغيرة جملة واحدة  
هى : (سامحونى فالحياة أصبحت غير محتملة!) ثم ابتلعت كمية من الأقراص المنومة بحثا  
عن نوم عميق وأبدى ، فهل انتهت ياترى آلامها؟!



## أنتونى ناتنج: أنا راعى أغنام!

حين توفى السيد أنتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية فى عام ١٩٩٥م كان بذلك آخر رجال السياسة النبلاء الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن المبادئ التى آمنوا بها، فقد ضحى ناتنج بمستقبل باهر كان ينتظره حين استقال احتجاجا على قيام وزارة أنتونى إيدن بالعدوان على مصر عام ١٩٥٦م، ومثلما أنهت تلك الحرب الحياة السياسية لإيدن، فقد أنهت الحياة السياسية لأنتونى ناتنج.



أنتونى ناتنج وجمال عبد الناصر أثناء توقيع إتفاقية الجلاء عن مصر عام ١٩٥٤م

كان السير أنتونى ناتنج هو وزير الدولة للشئون الخارجية فى وزارة أنتونى إيدن التى تأمرت مع كل من فرنسا وإسرائيل فى شن حرب السويس على مصر عام ١٩٥٦م، وبسبب هذه الحرب استقال الوزير الشاب من الحكومة وكان فى الـ ٣٧ من عمره وأمامه مستقبل سياسى باهر.

ولم تكن استقالة ناتنج مفاجئة، فقد كان هو الذى رأس الوفد البريطانى فى مفاوضات الجلاء مع مصر عام ١٩٥٤م ولم يكن ليرتاح ضميره لمحاولة احتلال مصر بعد سنتين من التوقيع بنفسه على اتفاقية الجلاء مع جمال عبد الناصر.

فى ذلك الوقت حاول زعيم المحافظين المخضرم هارولد ماكميلان إثناء ناتنج عن الاستقالة من البرلمان أيضا، قائلا له إنه أوضح وجهة نظره بالاستقالة من الوزارة وهذا يكفى، خاصة أن جماهير الحزب تنظر إليه باعتباره الزعيم القادم للمحافظين، لكن ناتنج رفض ذلك رفضا باتا قائلا إن وجوده داخل البرلمان يحتم عليه أن يدافع عن حكومة حزبه وهو لا يستطيع أن يفعل ذلك فيناقض ضميره.

ولقد قابلت أنتونى ناتنج للمرة الأولى عام ١٩٧١م حين حضر إلى القاهرة لجمع بعض المادة التاريخية اللازمة لكتابه الشهير عن جمال عبد الناصر والذى صدر فى العام التالى والذى يعتبر اليوم مرجعا أساسيا فى المكتبة البريطانية عن الزعيم العربى الراحل وخلال الفترة التى أمضاها ناتنج فى القاهرة اقتربت وحاولت مساعدته بقدر ما أستطيع، فقد كنت معجبا بذلك السياسى البريطانى النبيل الذى كان يمثل طرازا مختلفا تماما عن رئيس وزرائه أنتونى إيدن، وقد ازداد إعجابى به حين عرفته على المستوى الشخصى فوجدت فيه خصائص (الجنتمان) الإنجليزى الذى كانت تفتقده الحياة السياسية البريطانية.

وقد كان ناتنج يعتبر أن خطأ إيدن الرئيسى بتفكيره الاستعمارى القديم هو أنه لم يفهم ما يمثله عبد الناصر على الساحة الدولية كرمز لقادة العالم الثالث المتطلعين إلى التحرر والاستقلال، فقد كان ينظر إليه من منظور غربى ضيق لا يرى فيه إلا مشروعا هتليا جديدا فى العالم العربى وينبغى القضاء عليه قبل أن يستفحل.

أما أنتونى ناتنج فكان قبل حرب السويس يمثل جيلا جديدا من رجال السياسة البريطانية بعد جيل إيدن وماكميلان وكانت تتطلع إليه الأنظار ليحتل فى يوم قريب موقعه فى المنزل رقم ١٠ بشارع داوننج وهو مقر رئيس الوزارة، لذلك فقد قربه إيدن وظل محل ثقته لسنوات، وحين جاءت مفاوضات الجلاء مع مصر اختاره رئيسا للوفد البريطانى لثقته فيه.

وفى غرفته بالفندق الذى كان ينزل به فى القاهرة حدثنى أنتونى ناتنج عن تعامله مع عبد الناصر من خلال مفاوضات الجلاء وقال لى إنه اكتشف أن تحيز إيدن ضده ليس فى محله، وحين قام عبد الناصر بتأميم القناة قال إيدن لأنتونى ناتنج فى غل واضح (سأجعل عبد الناصر

يتقياً - يطفح - القناة التي ابتلعها) واستخدم الكلمة الإنجليزية Disgorge وكأنه يتحدث عن حيوان ابتلع فريسة عنوة وأنه سيرغمه على أن يلفظها من حلقة وحين نشرت حديثي مع ناتنج في ذلك الوقت لم أستطع نشر تلك الواقعة فقد كان رحيل عبد الناصر لم يمض عليه أكثر من ستة أشهر وتصويره بهذا الشكل كان سيجرح مشاعر الناس.

وفى الحرب التالية بين العرب وإسرائيل عام ١٩٦٧م حاول ناتنج زيارة الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل والإطلاع على أحوال الفلسطينيين فيها وكان ذلك في عام ١٩٦٩م لكن إسرائيل رفضت دخوله لما تعرفه عن مواقفه السياسية، وقد أخبرني ناتنج أنه منذ ذلك الوقت كان يعتبر نفسه فلسطينياً وقال (أنا واحد من هؤلاء الآلاف الذين طردتهم إسرائيل بلا محاكمة).

أما مقابلتى الثانية لناتنج فكانت فى الثمانينيات أثناء إحدى زياراتى لبريطانيا حيث دعانى إلى منزله خارج لندن فتعرفت على زوجته آنذاك (ليدى آن) وفى هذا اللقاء أكد لى ناتنج لأول مرة أن إيدن كان قد رتب لاغتيال عبد الناصر بعد تأميمه للقناة، وأنه لجأ إلى العدوان على مصر فقط بعد أن فشلت محاولة الاغتيال.

وأهدانى ناتنج فى هذه المقابلة نص محاضرة ألقاها فى الولايات المتحدة عن الحق العربى فى فلسطين وجدت فيها أبلغ ما كتب فى الغرب عن الاحتلال الصهيونى لفلسطين، وهو ما كان يعرفه ناتنج جيداً ليس فقط كرجل سياسة قريب من الشرق الأوسط وإنما أيضاً كباحث مدقق فى تاريخ هذه المنطقة، فقد أصدر عدة كتب كلها عن العالم العربى كان أولها كتابه المرجع (العرب) وكذلك تاريخ حياة لورنس العرب وهو الكاتب الذى قام عليه فيلم هولويود الشهير، وكتاب ثالث اسمه (رأيت بنفسى) يضم مجموعة مقالات كتبها للصحافة الأمريكية بعد استقالته، بالإضافة بالطبع لكتاب (ناصر) الذى صدر بعد سنتين من رحيل عبد الناصر.

وفى عام ١٩٩٥م كانت مقابلتى الأخيرة مع أنتونى ناتنج، وكان ذلك فى ضيعته بناحية سوذر لاند، وكان الزمن قد ترك آثاره على السياسى البريطانى العجوز الذى كان مازال ذلك الرجل فارح الطول الذى قابلته لأول مرة فى القاهرة قبل ذلك بحوالى ربع قرن، لكن وسامته الأسطورية كانت قد ولت وكانت الكهولة قد ألقت عليه بثقلها فأنحنى ظهره بشكل ملحوظ، أما وجهه الذى كان يشبه وجوه ممثلى هولويود، فقد زحفت إليه التجاعيد وإن ظلت ابتسامته محتفظة برونقها القديم.

سألته : كيف تمضى وقتك الآن ياسير أنتونى؟ قال : أنا الآن راعى أغنام ، فقد تركت السياسة منذ زمن ، وأنا سعيد الآن بحياة الريف الهادئة بين هذه الحيوانات الأليفة ، ونادرا ما أذهب إلى لندن ، ثم أخذنى السير أنتونى فى جولة بين أغنامه التى كان لكل منها اسم كآدميين .

قلت : ألا تحن بين الحين والآخر للسياسة؟

قال : لقد مارست السياسة بخلق لذلك فلست نادما على شىء ، كما أننى خرجت منها بضمير مستريح تماما ، ولا أشعر فى سنى هذه برغبة فى العودة إلى حلبة السياسة مرة أخرى .

قلت : لقد كلفتك مبادئك الكثير حتى أن حياتك السياسية تكاد تكون انتهت بحرب السويس .

فابتسم ناتنج وقال : لقد انتهت الحياة السياسية لأنتونى إيدن أيضا بحرب السويس ، لكن فى حالتى هى انتهت بإرادتى وليس بحكم الظروف ، لذلك فالنهاية لم تترك لى أى نوع من المرارة فى حلقي .

وبعد لحظة تفكير عاد أنتونى ناتنج ليقول : لقد كنت أتمنى أن أخدم الأفكار التى آمنت بها من خلال العمل السياسى ، لكنى خدمتها بدلا من ذلك عن طريق الكتابة ، وكان ذلك أشرف .

وبعد هذا اللقاء بسنوات معدودات توفى السير أنتونى ناتنج ٧٩ عاما نبيل السياسة البريطانية الذى اقتنع بالحق العربى فرفض أن يتنازل عنه مقابل ما كان ينتظره من مستقبل سياسى كبير .



## إمبراطورة إيران: هوايتى أن أطلب بالتليفون من لا أعرفهم!

دهشت حين قالت لى إمبراطورة إيران السابقة فرح دييا إنها كلما اشتد بها الحنين لإيران ، واشتاقت للتحدث إلى أحد من أبناء وطنها ، قامت بطلب أى رقم فى إيران دون أن تعرف صاحبه فى محاولة لأن تتواصل مع من يرد على مكالمتها فى حديث كل الغرض منه أن تلبى حنينها لوطنها الذى تركته مع زوجها الشاه قبل أكثر من ربع قرن من الزمان والذى تخشى ألا تراه ثانية.

التقينا فى القاهرة على مائدة عشاء الدبلوماسى المصرى المرموق على تيمور الذى تربطه وزوجته علاقة صداقة قوية مع إمبراطورة إيران السابقة منذ كان يشغل منصب مدير المراسم بالأمم المتحدة ، وعلمت من الإمبراطورة السابقة التى تحضر لمصر سنوياً فى ذكرى رحيل زوجها يوم ٢٧ يوليو ١٩٨٠م أنها تحرص على زيارة قبر الشاه بجامع الرفاعى ، وعادة ما يقيم لها على تيمور وحرمه فى كل عام عشاء يدعوان له بعض الأصدقاء ، وقد سعدت بأن وجدت مكانى على المائدة هذه المرة على يمين الشهبانو مباشرة حيث تجاذبنا أطراف الحديث خلال العشاء فى شتى الموضوعات الخاصة والعامة ، ولقد وجدت فيها شخصية جميلة تتسم بالبساطة وتبدى اهتماماً كبيراً بمن يحدثها. فإذا كان كاتباً سألته عن مؤلفاته وتناقشت معه فى القضايا الأدبية والثقافية التى تهمة .

على أن أمتع ما كان فى حديث الإمبراطورة السابقة هو حديثها عن تجربتها الشخصية وما مر عليها من أحداث منذ كانت فتاة تدرس الهندسة المعمارية فى باريس فإذا بها تتحول إلى زوجة شاه إيران وتنجب له وريثه الأول رضا بهلوى الذى أتم الآن فى منفاه عامه الـ ٤٥ .

فقد كان زواج الشاه الأول من الأميرة فوزية أجمل شقيقات الملك فاروق ، والتى أنجبت له ابنته الأولى الأميرة شاهيناز ، لكن الزواج لم يدم طويلاً حيث كانت طهران تبدو لفوزية فى ذلك الوقت مدينة ريفية بالمقارنة للقاهرة.

أما الزواج الثانى للشاه فكان من جميلة الجميلات ثريا إصفنديارى ابنة أحد أكبر السفراء الإيرانيين من زوجته الألمانية ، لكن ثريا لم تنجب على الإطلاق فاضطر الشاه إلى طلاقها رغم حبه الشديد لها.

ثم جاءت فرح ذات الـ ١٩ ربيعاً فأنجبت له أربعة أبناء، ولدين وبنتين، لكن مع فرح جاءت أشياء أخرى كثيرة لم تكن فى الحسبان فقامت الثورة عام ١٩٧٩م وطرد الشاه وعائلته من البلاد وجابوا العديد من دول العالم بحثاً عن مأوى.

وتروى فرح ديبا بتأثر لكن دون مرارة كيف أن جميع دول العالم رفضت أن تستقبل الشاه وعائلته حتى أولئك الذين اتهموا الشاه بأنه كان عميلاً لهم مثل الأمريكيين ، وتلك رواية لو كتبها أحد الروائيين ما صدقها أحد، فكيف يصحو واحد من أقوى ملوك العالم الجالس على عرش الطاووس الشاهنشاهى ذات صباح ليجد نفسه لا يملك من أمره شيئاً بعد أن طرد من البلاد ورفض الجميع استقباله، ولذلك فالشهبانو السابقة لا تنسى لمصر وللرئيس السادات أنه منحهم الجنسية المصرية، وبالتالي حق الإقامة فى مصر بعد أن أمضوا وقتاً لا يحملون جوازات سفر ولا يعرفون إلى أين يذهبون فسافروا إلى المكسيك ثم إلى بنما بعد أن رفضت الولايات المتحدة استقبالهم، كما رفضتهم أيضاً فرنسا وبريطانيا.

وتقول لى فرح ديبا التى يعنى اسم أسرتها (الحريين) باللغة الفارسية: واليوم الجنسية الوحيدة التى أحملها هى الجنسية المصرية، وأنا أعتز بها لأن مصر بلد الإنسانية والحضارة، هى التى آوتنا فى وقت رفضتنا بقية الدول وسأتمسك بهذه الجنسية إلى آخر يوم فى حياتى رغم ما تسببه لى من المتاعب بين الحين والحين، تم تضحك وهى تروى لى عن الإجراءات التى كثيراً ما تتعرض لها فى بعض المطارات خاصة فى الولايات المتحدة كلما أخرجت جواز سفرها فوجدوا أنها من الشرق الأوسط وأنها مولودة فى إيران إلى أن يكتشف موظفو الأمن شخصيتها فيدعونها تمر.

وفى حديثها عن الولايات المتحدة تقول فرح ديبا إنه حتى حين سمح فى النهاية للشاه بدخول الولايات المتحدة للعلاج من السرطان الذى أودى بحياته بعد ذلك، منحته الإدارة الأمريكية تأشيرة دخول لمدة ٣ أشهر فقط، وحددت إقامته داخل غرفة المستشفى التى كان يعالج فيها والتى لم يكن يسمح له بمغادرتها.

وتبدو على الشهبانو علامات التأثر فأغير موضوع الحديث قائلاً لها: إنك تعيشين الآن في باريس حيث كانت تعيش الإمبراطورة الإيرانية السابقة ثريا حتى رحيلها أخيراً، كما أنك تأتين كل سنة إلى مصر حيث ما زالت تقبم حتى الآن الإمبراطورة الأولى فوزية بالإسكندرية، فهل قابلت أياً منهما، فتقول: لا لم أقابلهما أبداً، وقد كنت أتمنى أن أقابل ثريا خاصة في أيامها الأخيرة حين أصيبت هي الأخرى بمرض زوجي، أما فوزية فأنا لا أذهب كثيراً إلى الإسكندرية، لكنني قابلت ابنتها من الشاه الأميرة شاهيناز كثيراً وتجمع بيننا علاقة ود دائمة.

ونظرت إلى فرح ديبا التي تعدت الآن الـ ٦٥ رغم احتفاظها برونقها، وتذكرت صور الفتاة ذات الـ ١٩ ربيعاً التي ملأت صحف ومجلات العالم حين تزوجها شاه إيران عام ١٩٥٩م والتي وجدت نفسها جالسة بين يوم وليلة على عرش الطاووس في إيران لكنها شردت بعد ذلك مع زوجها وأولادها بين مختلف دول العالم وتحول الحرير الذي اقترن باسم أسرتها إلى أكثر الأنسجة خشونة طوال فترة ربع القرن الأخير.

وسألت فرح ديبا: هل تتوقعين العودة مرة أخرى إلى إيران؟ فقالت: ذلك الأمل هو الذى أعيش له ولو فقدته لفقدت الحياة معناها بالنسبة لى، إننى أنام فى الليل وأنا أحلم بالعودة لبلادى وأصحو فى الصباح بنفس الحلم، إننى أشعر بحنين جارف للسير فى شوارع طهران التى أعرفها جيداً، وللنظر إلى وجوه الناس فى الطريق، ومشاهدة المباني التى ما زالت ترسم فى مخيلتى.

ثم تصمت امبراطورة إيران السابقة دقيقة تبدو عليها فيها علامات التأثر فأحترم صمتها الذى تنهيه بضحكة خفيفة وهى تقول: أتعرف.. إننى فى بعض الأحيان أشعر أن بى رغبة جارفة للتحديث إلى أبناء وطنى بأى طريقة فأمسك بالتليفون وأطلب أى رقم فى إيران لأتحدث إلى من يرد علىّ دون أن أعرفه ودون أن يعرف من أنا، فبمجرد التحديث بالفارسية لأبناء وطنى يشعرونى بآدميتى ويؤكد لى انتمائى لوطنى.

قلت: وهل يتقبل من تطليبينهم تلك المعاكسات التليفونية بصدور رجب؟ قالت: فى بعض الأحيان يغلقون السكة فى وجهى قائلين إن الرقم غلط، وفى أحيان أخرى قد تستمر المكالمة لبضع دقائق، فلدى حيل كثيرة أستخدمها، فى بعض الأحيان أقول لهم صراحة إننى سيدة كنت أعيش فى طهران وغادرتها منذ سنوات وأريد أن أسألهم على بعض معالم المدينة التى كنت أعرفها وهل ما زالت على حالها، والكثير منهم يهتم بى ويشرح لى بالتفصيل كيف تم هدم هذا المبنى أو تغيير اسم ذلك الشارع، فأشعر كأننى فى إيران ولم أغادرها.

## يوسف إسلام: والدى كان يدندن بأغانى أم كلثوم!

للقاتى بالمطرب البريطانى الشهير كات ستيفنز قصة غريبة تدخل فيها القدر فحدد لنا موعدا لم نختره نحن، وكات ستيفنز هو مطرب (البوب) المحبوب فى السبعينيات والذى أشهر إسلامه وغير اسمه إلى يوسف إسلام، ولقد كتبت عنه مقالا فى نهاية عام ٢٠٠٤م ثم سافرت فى اليوم التالى لنشر المقال إلى روما لأجد القدر قد حدد لنا موعدا للقاء.

كان لقاتى بيوسف إسلام فى أغرب مكان يمكن أن يجرى فيه حوار صحفى، وهو ساحة (جيانيكولو) الواقعة فوق قمة أحد الجبال السبعة للعاصمة الإيطالية روما، تلك الساحة التى تطل على أجمل مشهد للمدينة.

كنت قد وصلت إلى روما لحضور مهرجان أفلام البحر الأبيض المتوسط المعروف باسم (ميد فيلم) والذى شرفت فى ذلك العام بأن أكون رئيس لجنة تحكيم وفى قصر (مديتشى) التاريخى القديم والواقع أعلى درج أحد أشهر ميادين روما وهو ميدان أسبانيا كان حفل افتتاح المهرجان، وقد فوجئت أن وجدت يوسف إسلام يقف إلى جوارى فى الحفل حيث جاء ليتسلم جائزة (رجل السلام) التى تمنحها كل سنة مؤسسة جوربا تشوف الدولية وذلك لما قام به المطرب البريطانى الشهير فى التقريب بين الناس وخدمة قضايا السلام.

كان كات ستيفنز هو مطرب الشباب المفضل طوال سنوات السبعينيات وكانت أغنياته هى الأكثر مبيعا فى ذلك الوقت، ومنها أغنيات (أحب كلبى) و (ماثيو وابنه) و (الجرح الأول هو الأعرق) وغيرها، لكنه فجأة اتجه إلى الإسلام وغير اسمه إلى يوسف إسلام، ومنذ ذلك الوقت وهو يقوم بأعمال خيرية كثيرة كرس لها دخل موسيقاه التى ألفها وغناها فى السبعينيات والتى مازالت تباع بأعداد كبيرة وتدر عليه دخلا كثيرا، أما موسيقاه الحديثة فقد تحولت إلى الموضوعات الإسلامية فأصدر ألبوما بعنوان (خاتم الأنبياء) لاقى نجاحا كبيرا وألبوما آخر للأطفال بعنوان (أنا أنظر.. أنا أرى).

وفى نهاية عام ٢٠٠٤م تناقلت أجهزة الإعلام فى العالم اسم يوسف إسلام بعد أن منعت السلطات الأمريكية دخوله إلى الولايات المتحدة ولم يسمح له بركوب الطائرة التى كانت ستقله من مطار لندن إلى نيويورك.

ولقد كتب الكثير فى هذا الموضوع الذى أكد العداء المستحكم للإسلام وكل من يعتنقه حتى لو لم يكن له أية علاقة - مثل يوسف إسلام - بجماعات التطرف، وإزاء الحرج الذى ولدته تلك الواقعة للسلطات الأمريكية قيل فى ذلك الوقت إنه قد وقع خطأ غير مقصود نتيجة لتشابه فى الأسماء.

وبدا ظهور يوسف إسلام فى حفل افتتاح مهرجان (ميد فيلم) بروما لتسلم جائزة جوربا تشوف للسلام وكأنه نوع من التحدى - المتأخر - من جانب الزعيم الروسى الكبير للولايات المتحدة بعد أن ترك منصبه.

حييت يوسف إسلام وعرفته بنفسى فقال: آه أنت رئيس لجنة التحكيم، ثم أضاف بالعربية (السلام عليكم)، قلت: لقد كتبت عنك مقالا قبل مغادرتى القاهرة مباشرة ولم أكن أتوقع أن ألتقى بك عند وصولى إلى روما، فقال بالإنجليزية مثلا مرادفا المثل العربى (العبد فى التفكير والرب فى التدبير).

وقبل انتهاء الحفل كنا قد اتفقنا على اللقاء فى اليوم التالى، وقال لى يوسف إسلام: إنى لم يبق لى فى روما إلا غدا فقط، وقد خصصته للذهاب مع أسرته فى جولة سياحية قبل أن نغادر المدينة فلماذا لا تنضم إلينا؟

وبمراجعة تفاصيل الجولة السياحية وجدنا أن أفضل مكان يمكن أن نلتقى فيه هو عند وصولهم إلى ساحة (جيانيكولو) المطلة على مشهد روما الخلاب من على قمة الجبل فهناك ستنتهى الجولة مما كان سيتيح لنا فرصة للحديث.

كان الجو فى الساحة مشرقا رغم أننا كنا فى أوائل شهر نوفمبر ووصل يوسف إسلام فى سيارة كبيرة تنقله هو وزوجته وإحدى بناته ومدير أعماله، ووقفنا جميعا ننظر إلى روما من فوق قمة الجبل فى ذلك اليوم الجميل الذى توارت فيه السحب.

قال لى يوسف إسلام الذى ولد عام ١٩٤٨م لأب قبرصى وأم سويدية أنه قد حضر إلى مصر وزار الأزهر الشريف وهو فى طريقه لأداء العمرة، لكنه يعتبر نفسه نصف مصرى، لأن والده عاش فترة من حياته فى الإسكندرية وكان يتحدث العربية وأنه كلما كان يدندن بينه وبين نفسه كان ذلك بأغنيات أم كلثوم التى كان يحفظها عن ظهر قلب، قد ظل حتى وفاته يحتفظ فى دولاب ملابسه بالطربوش الذى كان يضعه على رأسه حين كان يعيش فى مصر. وسألت يوسف إسلام: كيف وصلت إلى الإسلام؟ قال: إنها رحلة طويلة هدانى إليها القرآن الكريم وحده دون تدخل من أحد، فقد كنت غير راض عن حياة النجومية التى

كنت أعيشها والتي فرضت على أسلوبا من الحياة بعيدا كل البعد عن الروحانيات وبدأت أبحث عن نفسى فاقتربت فى فترة من الفترات من البوذية ، ثم أعطانى شقيقى ترجمة إنجليزية للقرآن فقرأته فإذا بى أجد فيه كل ما كنت أبحث عنه ، فهو دين عصرى يحض على الحب والسلام ويدعو للعدل والحق ، وأذكر أننى قررت أن أتحوّل إلى الإسلام وأنا أقرأ سورة (الشعراء) ، إن فى الإسلام كل ما نحتاج إليه لإقامة عالم قائم على التوازن والسلام ، لكن البعض للأسف لا ينظرون إلى الإسلام إنما إلى المعارك التى تدور حول هذا الدين العظيم والتى لا تتصل بالمعانى والمبادئ النبيلة التى يقوم عليها.

قلت : هل تعتقد أن الثقافة والفنون يمكن أن تقرب بين الناس على مختلف أديانهم؟ قال : إن الله فى الإسلام جميل وهو يحب الجمال ، والإسلام فى رأىي أجمل الأديان ، وإن لم تر الجمال فى الإسلام فهذا يعنى أنك لا تنظر إلى الإسلام وإنما إلى شىء آخر ، والناس فى الغرب عادة لا تنظر إلا لما يحدث فى الشارع من أعمال عنف ثم ينسبونها للإسلام ، لكن ذلك يجعل لزاما علينا نحن المسلمين أن نقدم الصورة الصحيحة لديننا .

وسألت يوسف إسلام : ما هو فى رأىك أجمل ما فى الإسلام؟

قال على الفور : العلاقة المباشرة بين العبد وربّه ، فأنا مثلا اهتديت إلى الإسلام بلا وساطة من أحد ، والإسلام ليس فيه كهنوت وعلاقة الإنسان بالله ليس فيها طرف ثالث ومن هنا قدسيتها .

واليوم يعتبر يوسف إسلام أحد أقطاب المجتمع الإسلامى فى بريطانيا حيث يقيم مع زوجته وبناته الأربع وابنه محمد وقد أقام مدرستين ابتدائيتين للمسلمين ، ويرأس عدة جمعيات إسلامية تقوم بالأعمال الخيرية ، وقد أصدر ألبوما موسيقيا جميلا يحمل عنوان (ليس لى مدافع تزمجر) ، أما أجمل ما غناه كات ستيفنر بعد أن دخل إلى الإسلام فهو أغنية (طلع البدر علينا) التى استقبل بها الرسول صلى الله عليه وسلم عند دخوله المدينة المنورة .



## الرئيس السادات: أنا العبقري الذى تتساءلون عنه!

تجمعت أسرة التحرير على مائدة (الدسك) المركزى لجريدة (الأهرام) تستمع إلى توجيهات رئيس التحرير المرحوم الأستاذ على حمدى الجمال حين دق فجأة جرس التليفون، وحرصا على ألا ينقطع حديث رئيس التحرير التقطت السماعة بسرعة وقلت فى صوت خفيض: أيوه نعم؟ فجاءنى صوت جهورى على الجانب الآخر يصيح: أهه أنا بقى يا سى على العبقري إللى بتسألوه عليه! قلت بلهفة: مين سيادتك قال: أنا أنور السادات! ففدفت بالسماعة بسرعة إلى الأستاذ على حمدى الجمال.

كنا فى عام ١٩٧٦م وكان قد تقرر أن يتم إرسال مومياء رمسيس الثانى أعظم فراعنة مصر إلى فرنسا، وتناقلت الصحف الخبر ما بين مؤيد ومعارض، وفى يوم ١٢ سبتمبر ١٩٧٦م سافرت المومياء إلى فرنسا ووصلت بعد ظهر ذلك اليوم إلى مطار (لوبورجيه) خارج العاصمة الفرنسية حيث أعد لها استقبال ملكى لا يحظى به إلا الملوك والرؤساء.

وكان رمسيس الثانى قد امتد حكمه لأكثر من ٦٠ عاما من عام ١٢٧٩ قبل الميلاد وحتى عام ١٢١٣ قبل الميلاد حقق خلالها أمجادا عسكرية تشهد عليها جداريات معبده الجنائزى فى الأقصر، ثم توفى وقد تخطى عامه الثمانين وهو ما كان يعتبر حادثا استثنائيا فى تلك العصور، وإذا كانت تماثيل رمسيس الثانى قد تميزت بارتفاعها الشاهق فإن مومياء رمسيس تشير إلى أنه كان متوسط القامة حيث لم يزد طوله عن ١٧٢ سم.

على أن أحد لم يكن يعرف على وجه الدقة سبب سفر رمسيس الثانى إلى باريس، لكن أيا كان السبب فقد كان هناك من وجدوا فى قرار السفر إهدارًا لقيمة الفرعون العظيم ومخاطرة ستعرض لها مومياؤه من مشقة النقل بالطائرة.

ومن بين من عارضوا ذلك القرار محرر الشئون السياحية (للأهرام) فى ذلك الوقت الزميل محمود كامل الذى كتب مقالا انتقد فيه سفر المومياء وقال إنها قد تتعرض للتلف ذلك لأن شحنها بالطائرة وتعرضها للذبذبة ولاختلاف ضغط الهواء داخل الطائرة ستكون له آثار سلبية عليها، وقد وجه محمود كامل اعتذارا للفرعون العظيم قائلا (يا أبانا العظيم

رئيس الثاني سامحنا على ما فعلناه بك فقد تعود إلينا ترابا بعد أن تغنى مومياء) وفي نهاية المقال تساءل محمود كامل من هو ذلك العبقري الذي أصدر قرار سفر المومياء؟ وفي صباح ذلك اليوم قرأ الرئيس السادات الصحف كعادته في الصباح فإذا به يجد هذا المقال الذي اتخذه على أنه هجوم شخصي عليه باعتباره هو الذي أصدر قرار سفر مومياء رئيس فاتفعل الرئيس وقرر أن يطلب رئيس تحرير (الأهرام) كعادته كلما لم يعجبه شيء مما هو منشور، لكن على حمدى الجمال كان قد ترك مكتبه إلى صالة التحرير لحضور اجتماع التحرير ورأت سكرتيرته أن تحول له مكالمة الرئيس السادات على (الديسك) حيث تلقيتها أنا بالصادفة.

لم أقل شيئاً للأستاذ على حمدى الجمال ناولته سماعة التليفون بسرعة وكأني أقذف بها إليه ففهم أنها مكالمة له، فرد عليها بينما أخذنا نحن المحررين الجالسين حوله نتابع مختلف ألوان قوس قزح على وجهه الذى أحمر أولاً ثم أصفر ثم أزرق، وهو صامت لا يجيب ثم فجأة وضع السماعة فى هدوء دون أن يرد سلاما لم يوجه إليه فى نهاية المكالمة.

وصمتنا جميعا ننتظر لمعرفة ما حدث وإذا بعلى حمدى الجمال ينفجر فينا متهما إيانا بالإهمال والافتقار إلى الإحساس بالمسئولية وقال إنه سئم تلك (الشغلانة) التى لا يجنى من ورائها إلا التوبيخ بسبب ما نكتبه من (قرف) كما أسماه.

وبعد دقائق هدأت الأمور قليلا وأخذ الأستاذ على حمدى الجمال يعود إلى طبيعته الودية السمحة فقص علينا ما حدث وقال إن الرئيس السادات غاضب جدا من هذا المقال وأن علينا أن نصلح من هذا الأمر وإلا فإن الأذى سيطولنا جميعا.

وفى اليوم الثانى صدر (الأهرام) وبه تحقيق كبير يحتل ضعف المساحة التى احتلها المقال الذى كتبه محمود كامل فى اليوم السابق وكان مضمون التحقيق يقول إن مومياء أكبر فراعنة مصر قد أصيبت بنوعية نادرة من الفطر تهدد بالقضاء عليها تماما وأن علاج ذلك الفطر لا يوجد إلا فى فرنسا، وأن الرحلة التى قام بها رئيس الثاني إلى باريس هى التى ستنقذ مومياءه.

وقد عرض التحقيق الذى تم تنفيذه خلال بضعة ساعات على رئيس التحرير فقرأه كلمة كلمة قبل أن يوافق على نشره قائلا: المسألة موش ناقصة! وقد كان يشير بذلك إلى أمر

كثيرا ما حدثه فيه الرئيس السادات وهو اقتناعه بأن العاملين فى (الأهرام) جميعا (بتوع هيكل) وكان الرئيس السادات قد انتقد بشدة أن الصورة التى صاحبت خبر إقالة هيكل فى الصفحة الأولى (للأهرام) فى فبراير ١٩٧٤م كانت تظهر هيكل وهو يضحك وكأنه لا يبالي، وقد حاول السادات دون جدوى معرفة من الذى اختار تلك الصورة.

ورغم أن على حمدى الجمال لم يكن رئيسا للتحرير فى ذلك الوقت إلا أنه كثيرا ما روى لنا أن الرئيس السادات كان يؤنبه على ذلك وكلما نشر ما لا يروق له كان يقول للجمال (دة شغل العصابة بتاعة هيكل)!

وها هى الأيام تمضى ويمر على هذه الواقعة ثلاثون عاما بالتمام والكمال ويقرأ العالم إعلانا على الإنترنت لبيع خصلة من شعر رمسيس الثانى وبعض أجزاء من كفته فى فرنسا، مما يعنى أن مومياء أعظم فراعنة مصر لم تعد إلى مصر سالمة وأنه قد تم العبث بها أو على الأقل قام البعض بقص بضعة خصلات من شعر صاحبها المطفى بالحناء الحمراء وكذلك قطع من قماش الكفن الملكى، فكيف حدث ذلك؟

لقد كانت هناك عناية كبيرة فى مظاهر الاحترام التى أحيطت بها المومياء الملكية حيث صدر لها جواز سفر دبلوماسى وعزفت لها الموسيقى العسكرية عند وصولها إلى الأراضى الفرنسية، لكن يبدو أن الاهتمام لم يمتد إلى العناية بالمومياء نفسها.

لقد تم تحليل المومياء فى أحد المعامل الواقعة خارج العاصمة باريس وتم علاجها من الفطر عن طريق الإشعاعات الكهرومغناطيسية، أما شعر المومياء فقد تم إرسال عينات منه إلى معامل شركة (لوربال) الشهيرة لمستحضرات التجميل ويقول صاحب الإعلان إن والده كان أحد العلماء الذين عالجوا المومياء وأن لديه من الشهادات والصور الفوتوغرافية ما يثبت صحة خصلات الشعر التى يعرضها للبيع.

وإزاء ذلك فقد نكون مدينين باعتذار ثان لأبينا العظيم رمسيس الثانى على ما حدث لموميائه قبل ثلاثين عامًا.



## نجيب محفوظ:

### عودت الوحي أن يأتيني فى أوقات محددة!

يقول الكتاب والفنانون إنهم ينتظرون الوحي فى الموعد الذى يأتى فيه ، وإذا لم يكتبوا جديدا فلأن الوحي لم يأتهم ، أما أديبنا الأكبر نجيب محفوظ فيتحدث بغير ذلك حيث يقول إن لديه ساعات معينة من النهار كان يمضيها جالسا على مكتبه فى انتظار الوحي ، وأن الوحي تعود على المجيء فى تلك الساعات لأنه وجد أنه إذا جاء فى أوقات أخرى فإنه لا يجد أديبنا الأكبر مستعدا لاستقباله !!

وصلت إلى منزل أديبنا الأكبر نجيب محفوظ فى تمام الساعة السادسة بعد الظهر ، فذلك هو موعدى الأسبوعى معه حيث ألتقى به لتحدث فى موضوع ما يكون هو مضمون الحديث الذى أجريه معه لـ (الأهرام) كل أسبوع .

وما أن دققت جرس الباب حتى فتح لى الأستاذ بنفسه ورحب بى كما يفعل كل أسبوع وكأننا لم نلتق منذ زمن ، ومشى بى إلى غرفة الاستقبال التى اعتدنا الجلوس فيها ، وتعجبت من أنه قد سمع جرس الباب وجاء يفتحه رغم ضعف سمعه الذى جعله لا يسمع إلا ما يقال فى السماعه التى يضعها فى إذنه اليسرى ، وتذكرت أنه كان قد حدثنى منذ فترة عن سماعة أمريكية جديدة قال لى إن الأصدقاء أخبروه أنهم سيحضرونها له لأنها أقوى من السماعات القديمة ، فقلت له : هل غيرت السماعة يا أستاذ نجيب؟ قال : لا أبدا ، لماذا تسأل؟

قلت : لأنك سمعت جرس الباب ففتحت بنفسك ، بينما كنت دائما تنتظرنى فى حجرة الجلوس وكانت السيدة حرمكم هى التى تسمع الجرس وتستقبلنى على الباب . قال : أنا لم أسمع الجرس ، لكنك عودتنى أن تكون دقيقا فى مواعيدك مثلى ، فما أن دقت الساعة السادسة حتى قمت أفتح الباب فوجدتك أمامى كما توقعت .

والحقيقة أن الدقة فى المواعيد كانت دائما من أهم الصفات المميزة لأديبنا الأكبر ، فقد كان يجلس يوميا على مكتبه فى الصباح وفى يده القلم وأمامه الورق بصرف النظر عما إذا كان هناك عمل يكتبه أم لا ، فهو يبدأ يومه كل صباح بالجلوس على مكتبه لمدة ٣ ساعات ثم يخرج بعد ذلك سيرا على قدميه على النيل فيعبر كوبرى الجلاء إلى الجزيرة حتى يصل إلى كوبرى قصر النيل فيعبره إلى ميدان التحرير حيث كافتريا (على بابا) ، فيجلس فى الدور العلوى منها ينظر إلى الميدان ويقرأ الصحف ويحتسى فنجان القهوة المعتاد قبل

أن يذهب إلى عمله سواء في الحكومة أو بعد ذلك في (الأهرام)، وكان يقطع تلك الرحلة اليومية كلها سيراً على الأقدام، فالأستاذ نجيب لم يمتلك سيارة في حياته وهو مشاء كبير، مشى القاهرة كلها ذهاباً وإياباً فعرف كل حارة فيها وكل زقاق، وحين قرر محافظ الجيزة السابق المستشار محمود أبو الليل، وزير العدل الحالى الاستجابة إلى مقال كتبه في عيد الميلاد التسعين لأدينا الأكبر وطالبت فيه بإقامة تمثال له أثناء حياته، كان الوضع الذى اختاره المثال محمد سليم عبده ليصور به نجيب محفوظ هو السير، وهكذا جاء تمثاله الذى وضع فى ميدان (سفنكس) الذى أصبح اسمه الآن ميدان نجيب محفوظ فى بداية شارع جامعة الدول العربية، يصور نجيب محفوظ وهو سائر.

وقد أمضى الأستاذ نجيب سنوات يقوم بتلك الرحلة اليومية دون توقف إلا فى أيام الجمعة التى كان يعتبرها الإجازة الأسبوعية، وفى الصيف حين كان يسافر إلى الإسكندرية فيتوقف عن الكتابة تماماً إلى أن يعود إلى القاهرة فى نهاية الصيف.

وأذكر أننى سألته ذات مرة: كيف أمضيت السنوات الطوال لا تغير نظامك هذا، ثم

هل كنت تجد كل يوم بالفعل ما تكتبه فى تلك الساعات الثلاث الأولى من النهار؟

قال: فى بعض الأحيان كنت أكمل عملاً أكون قد بدأت من قبل. وفى بعض الأحيان كنت أكتب قصة جديدة، وفى أحيان أخرى لم أكن أكتب أى شىء، لكنى فى جميع الأحوال لم أكن أنهض من على مكتبى، لأن الكاتب مثل الموظف عليه أن يعطى عمله عدداً متفقاً عليه من الساعات، وإذا كان قانون العمل ينص على أن ساعات العمل هى ثمانية فى اليوم، فأنا لم أكن أعطى الكتابة إلا ثلاث ساعات فقط. فهل هذا كثير على شخص مهنته هى الكتابة؟

قلت: بالطبع لا، لكن إذا لم يكن يجيئك الوحي فلماذا تظل جالساً على المكتب والقلم

فى يدك؟

قال: وهل الموظف إذا لم يكن هناك عمل فى أحد الأيام يصبح من حقه أن يترك المكتب وينزل إلى الشارع؟ ثم إننى اكتشفت أن الوحي يمكن تدريبه على الحضور فى مواعيد معينة، فأنا أجلس والقلم فى يدي حتى يجدنى الوحي جاهزاً يجيئنى لأنه لو جانى فى وقت آخر فلن يجدنى مستعداً لاستقباله.

قلت: وهل كان الوحي يلبي النداء فى الموعد الذى خصصته له ولا يأتيك فى موعد آخر؟

قال: فى معظم الأحيان كان يعطينى الوحي ما أكتبه خلال تلك الساعات، فالساعات الأولى من النهار قبل أن يصحو الناس هى ساعات صفاء رؤية، وأستطيع أن أكتب فيها

أضعاف ما أكتبه فى بقية ساعات النهار، ومع ذلك فقد كان الوحي يأتيني فى بعض الأحيان فى أوقات أخرى فقط ليهمس لى ببعض الأفكار، فكنت أدونها فى ورقة صغيرة وأنا جالس على المقهى أو وسط أصدقائي ثم أعود إليها فى صباح اليوم التالى وأنا جالس على مكتبي فتكمل على الورق وتأخذ أبعادها الحقيقية.

قلت: فى بعض الأحيان يكون برد الشتاء قارصا، فهل كان ذلك يمنعك من النزول من

بيتك مبكرا والسير على أقدامك إلى مقهى (على بابا) فى ميدان التحرير؟

قال: لا فالمشى كان يملأني دفئا ونشاطا فلا أحس بالبرد، وإن كنت قد عدلت بعض الشيء

فى خط سيرى بعد (نوبل)، لكن ليس بسبب البرد، فقد كنت بعد تناول القهوة أمر على

الجامعة الأمريكية التى تقع إلى جانب (على بابا) لأن دار النشر بالجامعة كان لديها ملف يومية

عما ينشر عن أعمالى التى كانت تتم ترجمتها فى الخارج فتكتب عنها الصحف أو المجلات

الأجنبية، ثم كنت بعد الاطلاع على تلك القصصات أوصل سيرى إلى (الأهرام).

أما بعد الظهر فكان الأستاذ ينام قليلا بعد الغداء ثم يصحوا فى الخامسة ليتمشى جيئة

وذهابا فى غرفة الجلوس وهو يستمع إلى محطة أم كلثوم لمدة حوالى ساعة يكون خلالها

قد ارتدى ملابسه واستعد للنزول للقاء (الحرافيش)، وهذا هو الموعد الذى مازال ينزل فيه

من المنزل حتى يومنا هذا للقاء الأصدقاء، فيما عدا يوم لقائى به والذى التزمت به لمعرفة

بدقته فى المواعيد فصار يفتح الباب فى تمام السادسة ليجدنى أمامه.

